(٢)

كشف الكربة فى رفع الطلبة

تأليف

محمد بن أبى السرور البكرى الصديقى

تقديم وتعريف وتحقيق
الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية البنات ـ جامعة الأزهر

تمهيد :

تتناول مخطوطة « كشف الكربة فى رفع الطلبة » لمحمد بن أبى السرور البكرى ، قضية هامة من قضايا تاريخ مصر فى العصر العثمانى « وهى قضية الصراع الذى نشب ، منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر ، بين جند الحامية العثمانية من جانب ، والباشوات العثمانيين من جانب آخر ، وتوضح المخطوطة أسباب هذا الصراع . وتأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر من ناحية ، وعلى الحكم العثمانى نفسه من الناحية الأخرى ، ولإيضاح ذلك فان هذا التقديم سوف يتناول العناصر التالية :

(١) ثورات جند السباهية فى الفترة التى تؤرخ لهـا المخطوطة ، وهى الفترة الممتدة من ٢ شوال سنة ٩٩٧ هـ ـــ ١٤ أغسطس ١٥٨٩ م وحتى

١٠ ذى القعدة سنة ١٠١٧ هـ – ١٥ فبراير ١٦٠٩م – وأسباب هذه الثورات وموقف الباشوات منها .

(٢) التعريف بالمخطوطة ومؤلفها وموقفه من الأحداث التى سجلها كمعاصر لها .

(٣) خاتمة وتقويم .

* * *

أولا – ثورات جند السباهية :

بدخول مصر فى حوزة السلطنة العثمانية فى ٣ محرم ٩٢٣ هـ - ٢٦ يناير ١٥١٧م، اضمحلت مكانتها السياسية وانهار نظام الحكم المملوكى الذى كان قائما فيها ، ووضع العثمانيون نظاما لحكم مصر، كان يتألف من عدة هيئات (الوالى – الديوان – الحامية – المماليك) ، وهى هيئات متداخلة بعضها فى بعض ، وقد ترتب على مشاركة هذه الهيئات فى إدارة البلاد ، قيام صراع فيما بينها للسيطرة على شئون الحكم من ناحية ، وللحفاظ على الامتيازات الخاصة بكل هيئة من الناحية الأخرى .

فن الناحية الأولى، نجد أن الديوان والحامية والمماليك هذه الهيئات التى كان الهدف من إيجادها مساعدة الوالى فى حكم البلاد، أصبحت تنازعه السلطة بل وأضعفت من نفوذه ، وعملت فى كثير من الأحيان على عزله ومحاسبته على ما كسبت يداه فى نهاية مدة حكمه ، كما دخلت هذه الهيئات فى صراع مستمر فيما بينها شغلها فى معظم الأحيان عن تدبير أمور الحكم فى البلاد ، هذا إلى جانب أن كل هيئة شغلت بفرض امتيازات مادية لها على السكان مستغلة فى ذلك نفوذها وقوتها . وكان من بين هذه الامتيازات الضرائب

غير المشروعة التى فرضها جند السباهية على سكان الريف[1] وبالغوا فى فرضها وتحصيلها بالقوة ، وكانت محاولات الباشوات إلغاء هذه الضرائب الظالمة ، السبب المباشر فى ثورات هؤلاء الجند ضد الباشوات منذ سنة ٩٩٧هـ - ١٥٨٩م، وحتى القضاء على هذه الثورات نهائياً سنة ١٠١٧هـ - ١٦٠٩م على يد الوالى محمد باشا ويمكن توضيح ذلك فيما يلى :

كان جند السباهية الذين يقيمون فى الريف المصرى ، يتكونون أساساً من ثلاثة فرق من فرق الحامية العثمانية فى مصر ، (الجمليان ، التفنكجيان ، الشراكسة) . وكان منوطاً بهؤلاء الجند حفظ الأمن فى الريف ، ومساعدة رجال الإدارة فى جمع الأموال الأميرية المقررة على القرى ، وصدّ هجمات العربان من الإغارة عليها ، ومراقبة زراعة الأراضى ، والمحافظة على مياه الرى وحسن توزيعها . ولكن جند السباهية استغلوا نفوذهم ، والوظائف المخوّلة لهم فى الريف ، وفرضوا لأنفسهم على أهل القرى ضرائب غير مشروعة . وكان أبرز هذه الضرائب فى القرن السادس عشر ، ضريبة أسموها «الطلبة»، وهى مبالغ من المال . كان هؤلاء الجند يطلبون من كاشف الأقليم — ليعطوها صفة شرعية — أن يكتبها لهم على ناحية من النواحى . أو على شخص ، أو مجموعة من الأشخاص . بحجج وهمية ، وبالغ الجند فى مقدار هذه الضريبة التى كانت تختلف من حالة إلى حالة حسب أهوائهم ، حتى زاد مقدارها على مقدار الأموال الأميرية فى كثير من الحالات ، وقد حدث على

---

(١) كانت الضرائب التى فرضها العثمانيون على السكان تعرف باسم « المال الميرى » ، ثم زيدت هذه الضرائب بضريبة أخرى فى القرن السابع عشر ، عرفت باسم « المضاف »، ولكن رجال الإدارة والجند فرضوا لأنفسهم على السكان ، ضرائب وعادات أخرى أصبح يطلق على مجموعها اسم « البرانى » كانت قيمتها المادية فى معظم الأحوال تفوق قيمة « المال الميرى » .

انظر : دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن « الريف المصرى فى القرن الثامن عشر » ص ص ١٠٠ — ١٢٣ .

سبيل المثال أن قرية بالمنوفية كانت إقطاعا لمحمد بن أبى السرور البكرى. كانت الأموال الأميرية المقررة عليها مائة ألف نصف فضة ، ولكن غرمت فى الطلبة ضعف هـذا المبلغ[1] وصار جند السباهية يفرضون الطلبة « على الفلاحين والمزارعين ، فى ساير الأقاليم ، وعلى العمالين والبطالين وصاروا يضاعفونها فى كل سنة من السنين ، إلى أن زادت على أموال المقاطعات » ، وبالغوا فى فرضها وهددوا الكشاف كى يكتبوا لهم الأوراق بها ، إلى أن وصل الأمر أن يكتب لهم « فى كل شهر طلبة ، ولم يزل يعظم أمرها إلى أن صار يكتب للناحية الواحدة فى اليوم ثلاث طلب أو خمس فخربت البلاد لذلك »[2] وليت الأمر اقتصر على ذلك بل إن هؤلاء الجند كما تذكر المصادر المعاصرة ارتكبوا مع سكان الريف كثيراً من المظالم وساءت أحوال الفلاحين نتيجة لأعمال جند السباهية التى لم يستطع الفلاحون لها دفعا . ولم يكن هناك أمامهم من سبيل سوى الشكوى لكل باشا جديد حين قدومه إلى مصر ، عله يستطيع أن يضع حدا لسوء تصرفات جند السباهية وتعسفهم معهم .

حاول الباشوات إلغاء « الطلبة » التى كانت سبباً فى خراب البلاد وتدهور أحوال أهل الريف وكانت محاولة الباشوات هذه سبباً فى تمرد جند السباهية ضدهم ، لأن هؤلاء الجند اعتبروا أن إلغاء « الطلبة » إلغاء لأهم امتياز اقتصادى لهم ، أصبحوا يعتبرونه حقاً مقررا لهم على سكان الريف ، وكانت أولى ثورات جند السباهية فى سبيل حفاظهم على هذا الامتياز فى عهد الوالى أويس باشا (١٢ جماد الثانى ٩٩٤ — ٢ شـوال ٩٩٧ هـ / ٣١ مايو ١٥٨٦ م — ١٤ أغسطس ١٥٨٩ م) ، فحين حاول

(١) محمد بن أبى السرور البكرى ، الكواكب السائرة « ٢٧ أ » ، التحفة البهية ٥٥ ب ، ٥٦ أ .

(٢) محمد بن أبى السرور البكرى ، كشف الكربة فى رفع الطلبة ، ورقة ١٥ .

هذا الوالى أن يقف فى وجه أعمال هؤلاء الجند، ويلغى «الطلبة» هجموا على قصره بالقلعة فى (٢ شوال ٩٩٧ هـ / ١٤ أغسطس ١٥٨٩ م) ونهبوا موجوداته، وأخذوا ابنه رهينة حتى ينزل الوالى على إرادتهم ويصدر أوامره بالسماح لهم بأخذ «الطلبة»، ولم يستطع قاضى القضاة والدفتردار بالنصح تارة، وبالتحذير تارة أخرى إرجاعهم عن غيهم، فاضطر أويس باشا — تحت تهديد هؤلاء الجند وارتكابهم كثيرا من أعمال السلب والنهب فى القاهرة — إلى إصدار أوامره بالسماح لهم بأخذ «الطلبة» حسب أهوائهم(١).

كان هذا الانتصار على الوالى سبباً فى ازدياد تعسف الجند مع الأهالى من جانب. ومع الباشوات من جانب آخر. وتكرر حصارهم للقاهرة والهجوم عليها، وارتكابهم لأعمال السلب والقتل فيها ووصلت جرأتهم حدها حينما تصدوا للوالى إبراهيم باشا (١٤ ذى الحجة ١٠١٢ هـ / ١٤ مايو ١٦٠٤ م) وتمكنوا من قتله هو والأمير محمد بن خسرو فى (١ جمادى الأولى ١٠١٣ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م) وطافوا برأسيهما فى شوارع القاهرة. وكان ذلك جزاء اهتمام هذا الباشا بأمر إزالة الطلبة، والقضاء على الجند المتمردين، فأكد جند السباهية بهذا التصرف قدرتهم على تحدى كل من تسول له نفسه الوقوف فى وجه الامتيازات التى فرضوها لأنفسهم على السكان.

---

(١) دكتور عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت، ص ص ٢٤١ — ٢٤٢، ثورات العساكر فى القاهرة، فى الربع الأخير من القرن السادس عشر والعقد الأول من القرن السابع عشر ومغزاها، طبع دمشق، ص ص ٣ — ٤ ٥

وجاء محمد باشا الكرجى (٦ رجب ١٠١٣ – صفر ١٠١٤ هـ / ٢٨ نوفمبر ١٦٠٤ يونية ١٦٠٥ م)

وكان مكلفاً من قبل السلطان بمنع الطلبة ومعاقبة قتلة إبراهيم باشا . واستعمل هذا الباشا القسوة مع جند السباهية ورغم قسوته معهم ، فإنهم « لم ينتهوا عما نهو عنه ، وبغوا وعتوا أكثر من الأول » ولم يستطع الباشوات الذين أتوا بعد محمد باشا الكرجى ، القضاء على بغى هذه الطائفة حتى وصلت أخبار أفعالهم الشنيعة . وما يعانيه الرعايا منهم إلى السلطان أحمد بن محمد بن مراد (١٠١٢ هـ – ١٠٢٦ هـ / ١٦٠٣ م – ١٦١٧ م) ، فكلف محمد باشا (٧ صفر ١٠١٦ – ١٠٢٠ هـ / ٣ يونيو ١٦٠٧ – ١٦١١ م) – الذى تنعته المصادر المعاصرة ، « بمعمر مصر » ، و « مبطل الطلبة » – « برفع الطلبة وإبطالها بالكلية » ، وقد تسلم هذا الباشا من الأهالى وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة كثيرا من الشكاوى ضد مظالم جند السباهية والطلب التى يفرضونها على الأهالى ، بدون وجه حق ، طالبين منه أن ينقذهم من هذه المظالم(١) . وتنفيذا لما كان مكلفا به الباشا من السلطان ، فانه ابتدأ عهده بتجريد ثلاثة عشر سنجقا من رتبهم ورواتبهم ونفيهم من القاهرة ، واتفق مع الديوان على أمرين :

١ – التفتيش عن قتلة إبراهيم باشا .

٢ – إزالة الطلب وإيقافها فورا .

وتحقيقاً لسياسته فإنه بدأ عهده ، بالاشتراط على الكشاف

---

(١) محمد بن أبى السرور البكرى ، كشف الكربة فى رفع الطلبة وجه ورقة ٣٨ ، دكتور عبد الكريم رافق ، ثورات العساكر فى القاهرة ، ص ص ١١ – ١٢ ، بلاد الشام ومصر ، ص ٢٤٩ .

والأمناء(١) ، عدم كتابة طلب للجند مطلقا ، وهددهم بأن من يكتب منهم طلبة لأحد من الجند يكون القفطان الذى يلبسه كفنه ، وأمر برفع المظالم من القرى والنواحى . وأبرز لأمراء الجند والسناجق ، وجميع العسكر خطا همايونيا متضمنا رفع « الطلبة » وأن « كل من سعى فى أخذها أو تسبب فى طلبها بحيلة من الحيل ، أو سبب من الأسباب يكون ساقطا مخرجا من ديوان الجند ، بعد التنكيل الشديد به ، والتمثيل والتحقير » فأقسم له الجند جميعهم « يمينا واحدا وأشهدوا على أنفسهم أنهم من الآن لا يمشون فى طريق شىء يقال له الطلبة، ولا يطلبونها ولا يتفوهون بذلك ولا يذكرونه على ألسنتهم ، ولا يقرون عليها . وكل من عاند وخالف يكونوا عليه . ويقبضون عليه »(٢) .

وتنفيذا لسياسة الحزم التى اتبعها محمد باشا ، أرسلت الأوامر التى تقضى بإيقاف الطلب ومعاقبة من يتجرأ على طلبها . إلى الإدارات المحلية فى الريف، وألقى القبض على بعض الكشاف المخالفين ، مثل كاشف المنوفية ، وكاشف الغربية وكاشف البحيرة . وتم قتلهم وتعيين آخرين فى مناصبهم . وأخذ العهد عليهم بالتزام الدقة والحزم فى تنفيذ جميع الأوامر الصادرة برفع المظالم الواقعة من جند السباهة على سكان الريف . ولكن سياسة الحزم هذه التى اتبعها محمد باشا لم تلق قبولا لدى طائفة من جند السباهة . فتمردوا ضدها ، وتصدى بعضهم لكاشف الغربية الجديد ، وهددوه بالقتل ، فهرب وغرق فى النيل أثناء هربه(٣) فكان هذا الأمر من الأسباب التى زادت من تصميم

---

(١) الأمناء ، مفردها أمين ، وهو موظف حكومى . كان يقوم بجباية المال الميرى قبل تطبيق نظام الالتزام ، فى جباية الأموال المقررة على الأراضى الزراعية .

(٢) محمد بن ابى السرور البكرى ، كشف الكربة ظهر ورقة ٤١ ، ووجه ورقة ٤٢ .

(٣) نفسه ، ورقة ٢ .

محمد باشا على مقاتلة المتمردين . الذين كانوا بدورهم قد أعدوا العدة — رغم تعهدهم السابق بإطاعة الأوامر — لإظهار تمردهم وإعلان عصيانهم لأوامر الباشا — التي رأوا فيها قضاء على امتيازاتهم — وتأكيدا لإعلان تمردهم ، فانهم اجتمعوا في مختلف الأقاليم في (أواخر شوال وأوائل ذي القعدة ١٠١٧ هـ / أواخر يناير ، وأوائل فبراير ١٦٠٩ م) في مقام السيد أحمد البدوي بطنطا ، وتحالفوا على عدم رفع « الطلبة » ، وعلى قتل الأمير مصطفى كيخيا الجاويشية وغيره من السناجق المؤيدين لسياسة الباشا ضدهم ، وإمعانا في تحديهم لسياسة الباشا والدولة ، فانهم اختاروا من بينهم رئيسا عينوه سلطانا عليهم ، وقسموا مصر إلى أقسام فيما بينهم ، وتنفيذا لبرنامج عصيانهم . فان جموعهم اتجهت صوب القاهرة تبغى محاصرتها وإجبار الباشا على الاعتراف بشرعية مطالبهم ، وفي أثناء سيرهم تجاه القاهرة روعوا أهل الريف . وعانت جميع قرى الدلتا الكثير من مظالمهم .

علم محمد باشا بتحرك هؤلاء الثائرين ، فجمع العناصر الموالية له من سناجق وجاويشية ومتفرقة وانكشارية وعزب ، وحسهم على نصرة السلطان ضد أعدائه الخارجين على أوامره ، وعين مصطفى بك كتخيا الجاويشية قائدا على هذه العناصر . ومنحه رتبة السنجقية بهذه المناسبة ، وعمل محمد باشا كذلك على الاستفادة من قوة العربان ، ضد هؤلاء الجند المتمردين ، فاستعان ببعض قبائل البدو . ولكي يكسب قواته قوة على قوات المتمردين فانه زودها بست مدافع والتقت قوات الباشا مع المتمردين يوم (١٠ ذي القعدة ١٠١٧ هـ / ١٥ فبراير ١٦٠٩ م) في الخانقاه (الخانكة) وتمكنت من محاصرتهم وإجبارهم على

التسليم . وتسليم سلطانهم المعين من طرفهم، وسبعة وسبعين من رؤسائهم فأمر الباشا بقتلهم ، وجرد الباقين من سلاحهم ، وتعقبت القوات الحكومية فلول المتمردين وقتل كل من تظفر به منهم ، واتضح بعد المعركة أن هناك عناصر ليست من الجند اندست بين المتمردين ، إثارة للشغب . وبقصد المنفعة الشخصية . وبناء على نصيحة قاضي العسكر أمر الباشا بنفي من بقي من الجند المتمردين إلى اليمن ، وبذلك تمكن محمد باشا من القضاء على هذه الفتنة . وإبطال اعتداءات جند السباهية على سكان الريف ، ورفع عن كاهلهم أعباء « الطلبة » . التي عانوا الكثير من جرائها ، فارتاحت نفوس أهل الريف . وهدأت أحوالهم ، واعتبر المعاصرون هذا الانتصار على جند السباهية « الفتح الثاني في الدولة الشريفة العثمانية » ، ولقب محمد باشا بألقاب « معمر مصر » و « مبطل الطلبة »[1] . وبدأ الكتاب والشعراء المعاصرون . كل يدلي بدلوه في وصف هذا الانتصار ، وصفات هذا الباشا القوي الذي خلص مصر من أعمال هذه الطغمة الفاسدة المفسدة ، ووجد محمد بن أبي السرور البكري أن أعمال هؤلاء الكتاب والشعراء رغم كثرتها لم تؤد الغرض المنشود منها في وصف هذا الانتصار والتأريخ لهذا الحدث المظيم من أحداث تاريخ مصر. لذا شرع في وضع مؤلفه «كشف الكربة في رفع الطلبة» مبيناً الأسباب التي دفعته إلى ذلك بقوله « فهذا تأليف منيف ، ومختصر لطيف ، اقتضى الوقت

---

(١) محمد بن أبي السرور البكري ، كشف الكربة ، أوراق ٦٤ — ٦٦ ، التحفة البهية ، ورقة ٥٥أ ، الكواكب السائرة ، ورقة ٢٦ب ، النزهة الزهية ، ورقة (٣٧) .

— دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، ص ٢٥١ ؛ ثورات العساكر في القاهرة ص ص ١٢ — ١٣ .

— Shaw, J. Stanford, The financial and Administrtive organization and development of ottoman Fgypt, princeton 1956.

— Holt, P. M. Egypt and The Fertile crescent 1515 — 1922 apolitical history P 76.

إبرازه على وفق المراد، ومنهج الصحة والسداد، فيما وقع في هذا العام، الذى هو عام سبعة عشر وألف من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام، من الجند الأشقيا اللئام، والأهوال والضرر العام، للخاص والعام، وقد لهج غالب الأذكيا بالديار المصرية بتنميق هذه القضية، بمؤلفات نثرية، وتواريخ شعرية، فأتعبوا أنفسهم من غير فائدة، ولم يبلغوا الغرض، ولم يظهروا لبدايتهم عايدة، واقتضى الحال وضعه على هذا المنوال، وإن لم أكن من فرسان ذلك الميدان، فإن الحق سبحانه وتعالى قد ألهم وأعان ولم أقصد بذلك إلا العظة والاعتبار. وانتشار تلك الأخبار. والاطلاع على حوادث الدهر الدوار، واختلاف مطاوى الليل والنهار، ومعرفة أحوال بنى النوع، بما يوقظ الأذهان، ويشحذ الأفكار، ويزيد بصيرة أولى البصائر والاستبصار ... وسميته «كشف الكربة فى رفع الطلبة»، وخدمت بذلك حضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم والدستور المكرم، والمشير المفخم، حضرة مولانا محمد باشا[1].

* * *

ثانياً: التعريف بالمخطوطة ومؤلفها وموقفه من الأحداث التى سجلها كمعاصر لها:

مخطوطة «كشف الكربة فى رفع الطلبة» تأليف محمد بن أبى السرور

---

(١) محمد بن أبى السرور البكرى، كشف الكربة، ورقة ٣ .

— من الذين كتبوا عن الطلبة، خلاف من ذكرهم المؤلف فى هذا النص . محمد البرلسى السعدى ناسخ المخطوطة الذى ولى منصب القضاء بالاسكندرية، ودمياط، ورشيد، حيث وضع مؤلفاً عن «الطلبة» يكاد يكون نصه متقارباً مع هذا النص الذى ننشره اليوم . ومؤلف محمد البرلسى يحمل عنوان «بلوغ الأرب برفع الطلب» وتوجد نسخه منه على ميكروفلم بمعهد المخطوطات العربية . التابع للجامعة العربية برقم ٩٣٧، ونقوم حالياً باعداد دراسة عن هذه المخطوطة، ونشر نصها قريباً .

البكرى . تصور جانباً من تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الفترة الممتدة من (٩٩٧ — ١٠١٧ هـ / ١٥٨٩ — ١٦٠٩ م) حين تمكن محمد باشا ١٠١٦ — ١٠٢٠ هـ / ١٦٠٧ — ١٦١١ م من القضاء على ثورة جند السباهية فى ٩ ذى القعدة ١٠١٧ هـ / ١٤ فبراير ١٦٠٩ م) ورغم إشارة المؤلف إلى مؤلفه القيم هذا ، فى مؤلفاته الأخرى ، فإنه كان يعتبر فى حكم المفقود(١) ، وحقيقة الأمر أن

---

(١) أشار الدكتور محمد أحمد أنيس فى بحثه عن « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » طبع معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة سنة ١٩٦٢م ، ص٢٣ ، وفى البحث الذى تقدم به إلى ندوة ألفية ، القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، وفى البحث الذى تقدم به إلى ندوة «عبد الرحمن الجبرتى وعصره» ، التى نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة سنة ١٩٧٤ تحت عنوان « الجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ص ١٢ أشار فى هذه الأبحاث ، بأن مؤلف« كشف الكربة فى رفع الطلبة» غير موجود ، ولم يستطع أن يعثر عليه وذكره فى كل الأبحاث باسم محرف هو « تفريج الكربة فى رفع الطلبة » .

— وأشار الدكتور عبد الكريم رافق فى مؤلفه القيم عن « بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ — ١٧٩٨ م) الطبعة الثانية . دمشق ١٩٦٨ ، ص٢٠٢ . بأن هذا المؤلف « لا يعرف مكان وجوده الآن » .

— وذكر الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى بحثه الذى تقدم به إلى ندوة ألفية القاهرة سنة ١٩٦٩م ، بعنوان « دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى» ، هامش ص ٣٩ أن مؤلف ابن أبى السرور موجود فى مصر ، وأن اسمه « كشف الكربة فى تفريج الغمة » . ولكن الدكتور الشناوى لم يذكر مكان وجوده ، وأخطأ فى اسم الكتاب كما هو واضح، كما أنه اعتبر تاريخ الانتهاء من نسخ المخطوطة سنة ١٠٢٢هـ — ١٦١٣م، هو النهاية التى تؤرخ لها المخطوطة ، والحقيقة أن المخطوطة تؤرخ للفترة من ٩٩٠هـ ١٥٨٢م إلى ١٠٢٠هـ/١٦١١م وهى نهاية مدة حكم محمد باشا .

وهكذا يتضح مما ذكره كل من السادة الأساتذة السابقة أسماؤهم ، أن هذا البحث ظل غير معروف للباحثين . ولم يطلع عليه أحد ، حتى وفقنا الله بمساعدة الصديق « عبد الجواد صابر اسماعيل » الذى يقوم حالياً باعداد رسالة دكتوراه عن « مجتمع علماء الأزهر إبان الحكم العثمانى» بقسم التاريخ بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، فى العثور على هذا المؤلف القيم =

هذا المؤلف يوجد فى مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى بسوهاج، تحت رقم ٨٣٠ تاريخ ، حيث كتب على غلافه الذى نسخ بخط البرلسى الرفاعى الشافعى مانصه « كتاب كشف الكربة فى رفع الطلبة » تأليف الشيخ الكاتب الكامل الفاضل الشيخ محمد البكرى ، كما توجد نسخة أخرى لهذه المخطوطة ، مصورة عن النسخة السابقة ، بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٧٦٤ تاريخ ، وقد أخطأ واضع فهرس المخطوطات فى نسبة تأليف هذه المخطوطة إلى ناسخها محمد البرلسى الرفاعى الشافعى . رغم وجود النص السابق على الصفحة الأولى من الميكروفلم .

والمخطوطة تقع فى أربع وثمانين (٨٤) ورقة وكل ورقة مكونة من وجه وظهر ، وكل وجه يحتوى على (١٠) أسطر ، وكل سطر يحتوى (١١) كلمة. وقد كتبت بخط النسخ الواضح الجميل وكتب على رأس كل عشر ورقات كلمة « جزء » ، ولذا نجد المخطوطة قسمت إلى تسعة أجزاء ، حيث يوجد على رأس الورقة (٨١) اسم « الجزء التاسع » ، ومن دراستنا للمخطوطة وأحداثها . وجدنا أن هذا التقسيم غير قائم على أساس ، فهو لم يقم على فواصل ، أو وقفات محددة فى سرد الأحداث ، والتفسير الصحيح لهذا التقسيم أن الناسخ كان ينسخ كل عشر ورقات فى كراسة ، ويطلق عليها « جزء » ، وهكذا دواليك .

ومن المؤكد أن النسخة المحفوظة بمكتبة سوهاج أقدم نسخة منقولة ومقابلة على النص الذى كان محفوظاً بخزانة أحمد بن زين العابدين بن محمد

= وبعد أن اعتمدت على مؤلف « كشف الكربة فى رفع الطلبة » فى دراستى عن « الريف المصرى فى القرن الثامن عشر » التى حصلت بها على درجة الدكتوراة فى التاريخ الحديث ، من جامعة عين شمس ، والتى قامت جامعة عين شمس بطبعها على نفقتها بناء على توصية لجنة المناقشة ، بعد ذلك رأيت تعميما للفائدة من مؤلف ابن أبى السرور البكرى ، العمل على التعريف به ونشره ، وشجعنى أستاذى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم على هذا العمل الذى نقدمه اليوم للباحثين للانتفاع به .

البكرى ، حفيد المؤلف حيث نجد فى نهاية المخطوطة النص التالى « بلغ مقابلة وتصحيحاً بمزيد الاعتناء ، وتم ذلك يوم الخميس بعد العصر فى عاشر ربيع الآخر سنة ١٠٢٢ هـ ، فلله الحمد على ذلك » أى أن هـذه النسخة كتبت بعد التأليف بخمس سنوات ، فلقد كتبها المؤلف سنة ١٠١٧ هـ — ١٦٠٩ م ، كما نص على ذلك فى وجه الورقة الثالثة من المخطوطة .

والمخطوطة بعد المقدمة التى أشار فيها المؤلف إلى السبب الذى دعاه إلى وضعه هذا المؤلَّف تعالج الموضوعات التالية :

١ — التعريف بالطلبة وماهيتها .

٢ — باشوات مصر من سنة ٩٩٠ هـ — ١٥٨٢ م إلى سنة ١٠٢٠هـ — ١٦١١ م . وموقف كل منهم من الجند ومشكلة الطلبة .

٣ — ثورات جند السباهية ضد هؤلاء الباشوات .

٤ — من آخر ظهور ورقة (٦٦) يبـدأ المؤلف فى ذكر الروايات والأشعار التى سجلها من أفواه الثقات من الناس ، عن الأحداث التى عالجها .

والمؤلف خلال كتابته لتاريخ هـذه الأحداث ، يستطرد ، فى بعض المواضع لسرد بعض العظات والأحاديث والأمثلة التى تطابق ، واقع الحال ، لذا اضطررنا لحذف هذه الأجزاء من المخطوطة ، لخروجها عن الموضوع الرئيسى ، وليكتمل تسلسل حوادث الموضوع الذى تعالجه . وقد أشير إلى موضوع كل جزء محذوف فى موضعه .

وأسلوب المخطوطة متناسق وغير ركيك ، والمؤلف يسير فيه على طريقة التراجم فهو بعد المقدمة يذكر وصول الباشا ، وأهم صفاته والأحداث التى وقعت فى عصره ، كما سبقت الإشارة .

المؤلف :[1]

هو محمد بن زين العابدين بن محمد بن أبى الحسن بن أبى السرور البكرى، توفى باتفاق المصادر فى ليلة الجمعة (١٢ ربيع الأول ١٠٨٧ هـ / ٢٠ مايو ١٦٧٦ م)، عاش حياة علمية حافلة ، فقد اشتغل بعلوم الحديث والتفسير ، وعلوم القول ، وأصول التصوف ، والتاريخ ، واشتغل بالتدريس فى الجامع الأزهر ، وله مؤلفات عديدة . تعالج تاريخ مصر منذ بداية الحكم العثمانى وحتى الفترة التى عاصرها[2] ، ولما تقدمت به السن اعتزل التدريس فى الجامع الأزهر ،

---

(١) انظر بخصوص ترجمة محمد بن السرور البكرى المصادر التالية :

(أ) محمد توفيق البكرى ، بيت الصديق . القاهرة ١٩٠٥ ، ص ص ٧٣ — ٨١ .

(ب) محمد المحبى ، خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، دار صادر بيروت ، جـ٣ ، ص ص ٤٦٥ — ٤٦٨ .

(جـ) على مبارك «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ ٣ ، طبع المطبعة الأميرية ١٣٠٥ ص ص ١٢٧ — ١٢٩ .

(٢) مؤلفات محمد بن أبى السرور البكرى هى :

(أ) الكواكب السائرة فى أخبار مصر القاهرة ، صورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ٤١٩ تاريخ .

(ب) اللطائف الربانية على المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية . دار الكتب ، تحت رقم (٨٠م) .

(جـ) المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، دار الكتب رقم ١٩٢٦ تاريخ .

(د) النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، دار الكتب ، رقم ٢٢٦٦ تاريخ .

(هـ) الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة ، دار الكتب المصرية، رقم ٢٢٦١ تاريخ .

انظر بخصوص هذه المؤلفات : دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، ص ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ، دكتورة ليلى عبد اللطيف «ابن أبى السرور البكرى عصره ومؤلفاته» بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى لسمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث ، طبع جامعة عين شمس ١٩٧٦ ، ص ص ٢٣٦ — ٢٥٤ .

واشتغل بالإفادة فى منزله ، وآلت إليه رئاسة البيت البكرى . وحج إلى بيت الله الحرام في عام ١٠٧١ هـ ١٦٦٠ . وكان مسموع الكلمة عندالعامة والخاصة وشفاعته مقبولة عند الكبراء والوزراء .

أما من حيث وضعه المادى ، فقد كان محمد بن أبى السرور ثريا واسع الثراء . وكانت له بعض القرى كاقطاع خاص به ، وقد ذكر هذه الحقيقة فى معظم مؤلفاته فى معرض حديثه عن أعمال جند السباهية فى الريف ، حيث ذكر أنه ، وأهل قرية كانت تابعة له ، عانوا الكثير من أعمال هؤلاء الجند ، ولاغرابة فى ذلك فابن أبى السرور ، من أسرة لها مكانتها الدينية المرموقة فى المجتمع المصرى ، مما كان سبباً فى ثراء هذه الأسرة ، ورخاء حالتها الاقتصادية ، ولاغرو فقد سجلت دفاتر الالتزام ، ووثائق المحكمة الشرعية. أسماء الكثير من أفراد هذه الأسرة كملتزمين . منذ بدأ تطبيق النظام فى مصر سنة ١٠٦٩ هـ ١٦٥٨ م[1] .

ونعلم من مؤلفات محمد بن أبىالسرور أنه كان يعيش عيشة علية القوم، فقد ذكر الكثير من القصص التى تدل على ذلك . وذكر أن والده كان يمتلك بيتاً على بركة الرطل حيث كانت تقام بيوت الأثرياء ، وكبار موظفى الإدارة ، فى ذلك الوقت :

عاش محمد بن أبى السرور فترة بدأت فيها أمور الحكم العثمانى ، فى مصر تضطرب ، نتيجة لازدياد نفوذ الجند على نفوذ بعض الباشوات . وتعسف هؤلاء الجند مع الأهالى ، وقد رصدهذه الأحوال فىمؤلفاته ، ورغم مبالغته فى مؤلفاته الأخرى ، فإنه فى « كشف الكربة فى رفع الطلبة » كان صادقاً إلى درجة كبيرة فى تصويره لأعمال جند السباهية ، وقريباً من الواقع .

* * *

---

(١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

ثالثاً: خاتمة وتقويم:

هذه لمحة موجزة عن الظروف والأحداث التى مر بهـــا تاريخ مصر وشعبها فى الربع الأخير من القرن السادس عشر . وبداية القرن السابع عشر، توضح بصورة موجزة كيف أصبح أهل البلاد يعانون من ظلم الجند ، ومن قسوة رجال الحكم العثمانى ، رصدها المؤلف فى مؤلفه هذا الذى ظل مجهولا حتى شاءت الأقدار له أن يرى النور ، وخير ما نقدمه الآن النص الذى دوّنه المؤلف .

ففيه صورة واضحة لأحداث تاريخ مصر فى تلك الفترة وانعكاساتها على واقع المجتمع المصرى فى مختلف نواحيه الاقتصادية ، والاجتماعيـــة السياسية .

كتاب كشف الكربة فى رفع الطلبة

تأليف

الشيخ الكاتب الكامل العالم الفاضل الشيخ محمد البكرى

برسم خزانة

سيدنا ومولانا الشيخ الإمام

العالم العلامة والحبر الفهامة إمام المفسرين

خاتمة المحدثين مفيد الطالبين مربى المريدين مرشد السالكين

وحيد دهره وأوانه وفريد عصره وزمانه

سيدنا ومولانا شهاب الدنيا والدين الشيخ أحمد

ابن المرحوم الشيخ زين العابدين بن الأستاذ الشيخ محمد البكرى

الصديقى الشافعى فسح الله فى مدته

وطول حياته ونفع المسلمين ببركات

علومه آمين

البرلسى الرفاعى الشافعى فسح الله تعالى فى مدته

وضاعف فى أجره ومثوباته بحق محمد وآله وذريته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أقام قوام الشريعة الغرا بحمده ورفع طريق منار المحبة الزاهرا بمنده . وأباد أهل الجود والطغيان . وقطع دابر ذوى الذيغ والعصيان . الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة السلطان . الذين هم فى ذيغ الضلالة يعمهون . وزين لهم الشيطان أعمالهم . فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ، أحمده على أن هدانا للدين القيم . ونشكره على إهانة البغاة الطغاة . ومن يهن الله فماله من مكرم . ونشهدأن لاإله إلاالله وحده لاشريك له . الحكم العدل . الذى يقتص من الظالم للمظلوم فى يوم الفصل . ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله

ورقة (٣)

سيد ولد عدنان ، الذى قال من شق عصى هذه الأمة (وهو)(١) جمع فاقتلوه كايناً من كان . الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وملاذاً للعايذين(٢) وجعله رسول الله وخاتم النبيين فأخبر ﷺ عن السر المصون . ونبأ بما كان وما يكون . من أول الزمان . وإلى يوم يبعثون . ونبأ بصدور الملاحم والفتن والحوادث والمحن . وما يقع طول السنين بين الخلفا والملوك والسلاطين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شيدوا دعايم الإسلام . ورفعوها بالسيف والقلم حتى صارت كالأعلام . وسلم تسليما كثيراً . دايماً عزيزاً . وبعد فهذا

(١) أضفنا هذا الضمير ، ليستقيم سياق الكلام ، انظر كذلك وجه ورقة ٥٢ ، حيث أورد هذا الحديث ، وبه ضمير «هو» .

(٢) محو بعض الحروف .

تأليف منيف . ومختصر لطيف . اقتضى الوقت إبرازه على وفق المراد . ونهج الصحة والسداد . فيما وقع فى هذا العام . الذى هو عام سبعة عشر وألف من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام[1] من الجند الأشقيا اللئام . والأهوال العظام . والضرر العام .

ظهر ورقة (٣)

للخاص والعام . وقد لهج غالب الأذكيا بالديار المصرية ، بتنميق هذه القضية ، بمؤلفات نثرية وتواريخ شعرية[2] . فاتعبوا أنفسهم من غير فائد . ولم يبلغوا الغرض ولم يظهروا لبدايتهم عايدة . واقتضى الحال وضعه على هذا المنوال . وإن لم أكن من فرسان ذلك الميدان فإن الحق سبحانه وتعالى قد ألهم وأعان ، ولم أقصد بذلك إلا العظة والاعتبار . وانتشار تلك الأخبار والاطلاع على حوادث الدهر الدوار . واختلاف مطاوى الليل والنهار ، ومعرفة أحوال بنى النوع ، مما يوقظ الأذهان ويشحذ الأفكار ويزيد بصيرة أولى البصائر والاستبصار . مع ما أضفت إلى ذلك من النكت العجيبة ، والنوادر والاستطرادات الغريبة ، مما يقضى لمتأمله العجب . ويكتب على آماق

---

(١) ١٦٠٨/١٦٠٩م .

(٢) من الذين كتبوا عن هذه الحوادث :

— محمد البرلسى السعدى ، الذى عمل قاضياً شرعياً بالاسكندرية ودمياط ورشيد ، واسم مؤلفه « بلوغ الأرب برفع الطلب » ومخطوطة محمد البرلسى ، قريبة جداً ، بل إنها متشابهة فى أسلوبها مع مخطوطة محمد بن أبى السرور ، وسوف نعرض لها فى دراسة أخرى ، وللبرلسى السعدى قصيدة شعرية باسم القصيدة السعدنية . ألحقها بمخطوطة بن أبى السرور من ورقة ٨١ إلى وجه ورقة ٨٣ .

— كذلك قال بعض المعاصرين شعرا فى تأريخ حوادث هذه الفتنة مثل الشيخ عبد الواحد البرجى والشيخ عبد المنعم الماطى . ورقة ١٨ ، وبعض من لم يذكر اسمهم ورقة ١٥ وورقة ٢٤ ، وكذلك قال الشيخ على الملاح شعرا ، مؤرخاً لهذه الفتنة ، ظهر ورقة ٧٤ ، والشيخ عبد الله الدنوشرى ، ظهر ورقة ٧٦ .

الجفون بماء الذهب وسيمته كشف الكربة فى رفع الطلبة . وخدمت بذلك حضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم والدستور المكرم والمشير المفخم . حضرة مولانا محمد باشا يسر الله تعالى (له)[1] من الخيرات مايشا ، كافل المملكة الإسلامية . والأقطار الحجازية . الوارد ترجمته فى محله إن شاء الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أسأل اتباع سلوك الحق والهام طريق الصدق . إنه ولى ذلك والقادر عليه . وفى الحقيقة فإن الكل منه وإليه . وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم(*) .

وقد كانت مصر قبل الآن قد اختل أمرها وضاقت معيشة أهلها وكثر شرها وخربت قراها وضعفت فلاحيها وانفصمت عراها ، وانقلبت أحوالها ، وخست أموالها ، ونقصت غلالها ، لما أراد الله تعالى لها فى القدم ، من نقلها من الوجود إلى العدم وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وجلاء الفلاحين ، وازدراء الشرع المبين ، وقد اتسع الحزق ، وزاد الحرق . واصل ذلك كله قيام طايفة من الجند المكتوبين فى بلاد الأرياف مع كشّاف الأقاليم[2] . فأظهروا العناد وسعوا فى الأرض بالفساد .

---

(١) أضفت كلمة (له) لتوضيح سياق الكلام .

(*) حذفت من النص الجزء الذى يلى العلامة الموضوعة وحتى بداية الورقة ١٢ لخروجه عن طبيعة الموضوع ، حيث أن المؤلف يتحدث فيه عن مصر وطبيعتها وفضائلها وخيراتها ، على عادة مؤرخى ذلك الزمان عند الحديث عن أى بلد من البلدان .

(٢) المقصود بالجند المكتوبين فى بلاد الأرياف ، جند السباهية ، وهم جند ثلاث فرق من فرق الحاميــة العثمانية فى مصر (الجمليان — التفنجكيان — الشراكسة) أنظر بخصوص هذه الفرق :

— أحمد شلبى بن عبدالغنى ، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات من ص ١٩ — ٢١ .

— عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ٢٤٢ .

— عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، من ص ٥٤ — ٦١ .

ظهر ورقة (١٢)

وأحدثوا شيء سموه الطلبة[1] على الفلاحين والمزارعين، فى سائر الأقاليم، وعلى العمالين والبطالين، وصاروا يضاعفونها فى كل سنة من السنين، إلى أن زادت على أموال المقاطعات، بل عمت وطمت، ولم يقدر أحد على المرافعات، وذلك غير ما صدر منهم من الأمور الشنيعة، والأفعال المنكرة الفظيعة من الزنا واللواط جهاراً، وافتضاض الأبكار نهار، لايتناهون عن منكر فعلوه، ولا يأتمروا بأمر ولاتهم ولا يمتثلوه، وصار لهم أسمطة وأطعمة غالية المقدار، تحمل إلى خيامهم آناء الليل وأطراف النهار، وتهديد الكشاف بما فيه القتل إن قصروا عن ذلك، بل ويسلكون بهم أسوء المسالك، وصار المسلمون معهم فى أمر مريج. ليس لهم منه خلاص، بل أضحوا فى غاية التمويج، صار أرزل الجند وأقلهم مقلداً بالسيوف المسقطة، والسروج بالذهب المنقطة والخيول المسومة والعدد المقومة، والمرد

ورقة (١٣)

الجميلة المزينة بأنواع الزينة المكملة، راكبين خلفهم أجود الخيول فى لهو وفرح لايزول، وإن وجدوا أيضاً ولداً مقبول الصورة أخذوه من والده بالسيف، وقد حصل منهم غاية الحيف، مع الفسق بنساء الفلاحين، وافتضاض أبكار بنات المسلمين، بل وقتل بعضهم وسلب مامعه، وغير ذلك من القبايح المنكرة، والحوادث الشنيعة المبتكرة وذلك هو مفتاح (ما)[2]

---

(١) الطلبة هى ضريبة أصبح جند السباهية يفرضونها على الفلاحين، كأجر لهم على طلبهم للفلاحين لقار رجال الإدارة عرفت فيما بعد باسم «حق الطريق».

وقد غالى جند السباهية فى عدد مرات فرضها، كما غالوا فى قيمتها حيث كانوا يقدرونها حسب أهوائهم، وأصبحوا يأخذون من الكشاف أوراقاً تجيز لهم فرض هذه الضريبة الظالمة، كما كانت سبباً فى قيام هذه الفتنة التى تؤرخ لها هذه المخطوطة.

(٢) أضفت حرف (ما) لتوضيح سياق الأسلوب.

سنذكره فى هذه الوريقات ونسطره من الدواهى العظام، والأمور التى توجب المقت من الملك العلام ، وكان سبباً لوقوع الطابة وظهور تلك الكربة ، وذلك أن حضر مولانا أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ، ذو القدر والاحترام والعز والاحتشام، مولانا الوزير ابراهيم باشا بكاربكى[1] الديار المصرية فى سنة تسعين وتسعماية[2] بعد انفصال مولانا حسن باشا الخادم ، لما ورد إلى مصر وعمل تفتيشاً[3] عاماً على مولانا حسن باشا المشار إليه ، وأظهر

ظهر ورقة (١٣)

عليه خيانات عظيمة ، وكتب عليه حجج بذلك، أقبلت عليه العمال والملتزمين وهادوه وخدموه بأموال كثيرة ، فضبط ذلك ضبطاً جيداً ، وأضافه لبيت المال الشريف ، لعفته واستقامته ، ولكونه من حرم السلطنة الشريفة الخاص وهو ليس كغيره وصوم نفسه وعف وأضاف ما كان يأخذه البكاربكية لأنفسهم لجانب السلطنة الشريفة ، وسلك مسلكا حسناً مع غاية من التواضع ، وصار يسلك الأماكن التى لا ينبغى للحكام إتيانها من المنتزهات

---

(١) بكلربكى : لقب كان يطلق على « باشوات مصر » فى بداية الحكم العثمانى ومعناه أمير الأمراء .

(٢) ١٥٨٢ م ، يذكر المؤلف فى مؤلفه « النزهة الزهرية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية » ص ٩٠ ، أن إبراهيم باشا ولى أمر مصر فى ١٤ ربيع الآخر ٩٩١ أى ٧ مارس ١٥٨٣م .

(٣) أصبح الباشوات العثمانيون المعزولين يخضعون منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر ، لعملية المحاسبة على يد الباشوات الذين يخلفونهم ، فكان الباشا المعزول ينتظر وصول الباشا الجديد ، الذى يقوم بدوره . بعقد الديوان فى المكان الذى ينزل فيه الباشا المعزول ، وكان الروزنامجى يقوم فى هذه الجلسة باظهار حساب الباشا ، وما بقى فى ذمته ، فإذا اتضح بقاء شىء عليه ، يقوم بتسديده ، ويترك التصرف فى أمره للباشا الجديد ، الذى كان يملك حق التخفيف عنه ، أو إعفائه من بعض دينه كما يتراءى له . انظر الدكتورة ليلى عبد اللطيف ، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى؛ الباب الثانى .

والبساتين والذهاب إلى الأماكن البعيدة نحو دمياط ورشيد والصعيد ، وغير ذلك ، قاصداً بذلك التفحص عن أحوال الرعية ، والاطلاع على مايفعله الكشاف والحكام والملتزمين ، والتفرج والتزه وصار فى كل حين يعطى الترقيات[1] والانعامات والصدقات الوافرة ، خصوصا فى القرافتين وفى مقام حضرة سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه ويقـــرب القرابين وقل يوم جمعة إلا

ورقة (١٤)

ويرسل فيها الصدقات وكان ذلك دأبه إلى حين توجه إلى الديار الرومية ولما حان عوده إلى الديار الرومية ضبط ما كان أهدى إليه، وجعله مالا مقرراً يحمل إلى الخزاين العامرة السلطانية، وأقام مقامه فى ذلك أمير الأمرا الكرام، كبير الكبراء الفخام ، حضرة مولانا سنان باشا الذى كان دفتردار فى زمانه وألزمه بذلك وجعله بكلربكيا بمصر ، وكتب ذلك عليه بحجة شرعية عند حضرة مولانا وسيدنا قاضى القضاة شيخ مشايخ الإسلام ، قاضى العساكر المنصورة، ومفتى السلطنة الشريفة بالديار الرومية، مولانا محمد أفندى بستان زاده ، دامت فضايله ، على حكم مايحمل الآن، وبعلوفات العسكر ، وقد كان تجمد عليه من علوفات العسكر، ستة أشهر فأكثر، وأخذ ما كان قبض، مال السنة الجديدة . وتوجه إلى الديار الرومية . ثم توجه حضرة ابراهيم باشا إلى الأبواب العالية وعين فخر الأمرا عمدة الكبرا

ظهر ورقة (١٤)

مولانا سنان باشا المشار إليه ألزمه بما كان أخذه من العمال والملتزمين ، وجعل الخزينة التى هى على حكمها الآن تحمل إلى الأبواب العالية الخنكارية

---

(١) الترقيات : المكافآت .

وأشهد عليه بذلك كما ذكرنا فضاق عليه الحال بسبب ذلك جداً، ثم عينت ايالة مصر المحروسة، لمولانا وسيدنا أمير الأمرا الكرام، كبير الكبرا الفخام، ذو القدر والاحترام، والعز والاحتشام، حضرة مولانا أويس باشا أعطاه الله تعالى من أنواع العزة والسعادة ماشا ، فلما ورد إلى الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وتسعماية[1] وجد أحوال الخزينة متضايقة جداً ، فتواطأ مع بعض الأجناد على قطع علوفات[2] أرباب الدكاكين والحرف والمتسببين من الجند فركب عليه العسكر بسبب ذلك، وتطرقوا إلى قطع علوفات أولاد العرب ، وحسن له بعض شياطين الأمرا قطع علوفات ثلاثة أيام كافة على سائر العساكر ففعل . ونعوذ بالله من ذلة العاقل . ولما آن أوان تقسيط البلاد عين جميع الأقاليم للقاضى

ورقة (١٥)

على بن القاق فكان يبيع الأقاليم بيعاً ، ويضيف ما كان يأخذه من الخدم من الكشاف والملتزمين على الأقاليم السلطانية، ويطلب منهم أيضاً خدمة ثانية على حكم عادة الخدمة، فمن رضى بذلك ألبسه قفطاناً ، وكتب له بذلك تذكرة ليأخذ على موجبها تقسيطاً ، ولما أن تم الأمر على ذلك ، وصار القاضى على ابن القاق يتصرف فى أقاليم مصر ويعطيها لمن أحب واختار ، ولا يؤخذ تقسيط البلاد إلا على موجب تذكرته فتمايلت عليه جند مصر بهذا السبب، وتشامخ هو أيضاً وطلع أنفه للسما ، وتعالى وصار أمر مولانا أويس باشا مع مع أمره كما قال بعضهم .

أمرك مردود إلى أمره ... وأمره ليس له ردُّ

---

(١) ١٥٨٦/١٥٨٧م . . يذكر المؤلف فى مؤلفه « النزهة الزهية » ص ٩١ أن أويس باشا تولى حكم مصر فى جمادى الآخرة ٩٩٤ / مايو١٥٨٦م .

(٢) علوفات أى مرتبات .

وقد صارت الكلمة منحصرة فيه وحده، ولما كان الأمر كذلك، صارت الكشاف يكتبون للجند أوراقاً تنافيع، فصاروا يأخذونها شيئاً فشيئاً، إلى أن ترقى الأمر، فصار يكتب فى كل شهر طلبة، ولم يزل يعظم أمرها إلى أن صار يكتب للناحية الواحدة،

ظهر ورقة (١٥)

فى اليوم ثلاث طلب أو خمس فخربت البلاد لذلك — وتخلخلت وتسحب غالب الفلاحين وشرعوا فى أفعال قبيحة جداً، ومن جملة ما فعلوه، والأمر الذى اقترحوه(*). وهى الفعلة التى سارت بها الركبان، وتداولتها أيدى الرواة إلى منتهى الأزمان، الفعلة المنكرة والواقعة القبيحة المشتهرة. مع حضرة مولانا المرحوم أويس باشا، وهو أنه فى ثانى شوال سنة ٩٩٧هـ، هجموا عليه فى الديوان الشريف بعدّهم وعديدهم وفعلوا معه حقارة عظيمة جداً بحيث أن أحدهم تعدى ودخل إلى محل حريمه وأخذ له ساعة فلكية لا قيمة لها(١). وسيف غالى الثمن وقوس مثمن، وأخذوا يرمون بالسهام، وتعدوا وقطعوا ثلاث ختمات شريفة جراءة على الله تعالى بالسيوف، مع قتلهم فى ذلك اليوم ثلاثة أنفار من أتباعه، ثم لم يكفهم مافعلوه، ومن قبيح أمرهم ابتدعوه، حتى ركبوا وهجموا على بيت مولانا وسيدنا قاضى القضاة وشيخ مشايخ الإسلام. ملك العلما الأعلام

(١) أى أن قيمتها لا تقدر بثمن، أنظر كذلك «النزهة الزهية» ص ٩٢ حيث يذكر «وأخذوا أنفس ما وجدوه من الأسباب، ومن جملة ذلك ساعة عظيمة يعرف بها الأوقات وسيفاً محلى بالفصوص المثمنة وقوس لا قيمة له».

(*) هكذا فى الأصل وصوابها «اقترفوه» أى ارتكبوه.

ورقة (١٦)

ملاذ الخاص والعـــام ، مولانا أحمد أفندى الأنصارى القاضى بمصر المحروسة يومئذ،وهو بشباك المقعد ينظر إليهم ولم يعرفه الخبر ،فتعدوا وقطعوا داخل حوشه،رأس شخص يدعى عثمان باش جاوش ببلوك الكملية،فى يومهم ذلك ، وكانت له مصلحة هناك،ثم قبضوا على القاضى على بن القاق ملتزم الغربية المذكور وعلى القاضى شمس الدين بن زحلاق ناظر الحرمين الشريفين بمصر فى يوم الأربعا رابع الشهر المذكور وسجنوهما بالعرقخانة ، وأصبحوا يوم الخميس خامسه طلعوا الطايفة إلى الديوان الشريف،وأحضروهما من العرقخانة وأنفذوا حكم الله تعالى فيهما ، بأن قطعت رءوسهما بالديوان الشريف ، وعلقتا بالجيزة بالسلطان حسن بالرميلة وقبضوا على حضرة مولانا محمد باشا ابن المرحوم أويس باشا . ووضعوه عند فخر الأمراء الكرام . عمدة الكبرا الفخام . الجناب العالى الأمير حسن بيك الشهير بسكران حسن ، رهينة إلى أن يعمل لهم ما يرومونه ونزلوا بكركبتهم إلى باب زويلة .

ظهر ورقة (١٦)

فرأوا شخصاً يدعى أحمد جاوش فأنفذوا حكم الله تعالى فيه قتلا ، وهرب الأمير الكبير أحمد العادلى ملتزم البحيرة أياماً، وتوارى الأمير مصطفى أمير الحاج الشريف تلك السنة . وطلبوا سفرت حسن المقاطعجى . وكذلك بن العادلى والقاضى بدر الدين السملاوى،وقفلت الحوانيت، ونهبوا بعض أسباب الناس . وأهانوا أولاد العرب إهانة شديدة،من أخذ خيولهم وما عليهم من اللباس الحسن،وكل من وَجَدَ ولدا مليحاً مع والده أخذه منه جبرا بالسيف ونادى مناديهم أن أولاد العرب لا يستخدمون مماليكا بيضاً ، وأن اليهود والنصارى لا يستخدمون عبيدا ولا جوارا،والكشف عليهم بعد ثلاثة أيام ولا يتزيون أولاد العرب بزى الأتراك،وصاروا يجتمعون طوايف طوايف

فيجلسون بحوانيت السكرية بباب زويلة ، وتذهب طايفـة منهم إلى بيوت الأكابر من أهل المناصب من أولاد العرب وهم يرمون بالبندق ويصيحون صياحاً عظيما

ورقة (١٧)

ويدخلون على الكبير ، وهم على تلك الحال فيرتعب منهم ارتعاباً شديدا ، فيأخذون منه ما يقولوه ، وإن لم يدفع لهم ذلك فما يفده إلا البطش بل والقتل ، فيشترى الكبير نفسه بما يدفعه لهم ، وممن دخلوا إليه على هذه الهيئة المرحوم القاضى زين العبّادى كاتب المحاسبات الشريفة ، فارضوا خاطرهم بكل وجه يمكن المرة بعد الأخرى وهلم جرا ، وهرب الشيخ محى الدين الغزى الحنفى فإنهم قصدوا منزله فهرب منهم ، كذلك جماعة أخر ، ثم إنهم أيضاً فى يوم الأحد ثامن شوال طلبوا قاضى مصر مولانا ملا أحمد الأنصارى [1] المشار إليه ، هو والأمير الدفتردار وقاضى مكة المشرفة يومئذ ، وفخر الأماجد حاوى المقاصد والمحامد ، مولانا محمد جلبى يغلى زاده ، قايم مقـام كاتب الديوان الأعلا ، وجميع العسكر أن يجتمعوا فى مدرسة مولانا السعيد الشهيد السلطان حسن بالرميلة طاب ثراه وكذلك فخر العلما عمدة الفضلا مفتى المسلمين ، أوحد المفسرين ، مولانا شمس الدين

ظهر ورقة (١٧)

محمد التى يرمق أفنـدى الحنفى الرومى فوعظهم وعظاً شـديدا وحذرهم غضب الله تعالى وغضب رسوله وغضب ولى الأمر ، فأرسل حضرة مولانا أويس باشا بيوريلديا شريفا(*) ، لحضرة مولانا قاضى مصر ، أن يفعل للجند

---

(١) تولى قضاء مصر فى أواسط جمادى الأولى ٩٩٦ / أبريل ١٥٨٧م .
انظر « النزهة الزهية » ص٩٣ .

(*) فى الأصل « بيوريلدى شريف » .

المذكورين جميع ما طلبوه ويخلصه من أيديهم وذلك بعد أن عاثوا وأفسدوا وضربوا بندقاً كثيرا ، وتمردا وافرا ، وبعد أن أشهروا أسلحتهم ، وطلعوا بالخيول إلى القلعة المنصورة ، والديوان الأعلى ،وأخربوا الرفوف ،ولما أن وعظهم مولانا محمد افندى المشار إليه كتب محمد جلبي حجة بين الفريقين بأشيا على حسب مرادهم،وما سلم الله تعالى أويس باشا من القتل إلا أجله ، وقد توفى بعد ذلك بالسكتة عند حضور أجله وفى هذه الواقعة يقول الشيخ العلامة عبد الواحدالبرجى :

قد أصبح العالم فى حصر   فعجل اللهم بالنصر
فمصر قد أوبقها أصرُها   ومن له صبر على الأصر

ورقة (١٨)

يا صاحبي الأمر مستعجل   قف نبكى على مصر

وقال الشيخ عبدالمنعم الماطى موّالا(*) مؤرخا :

نظام مصر العزيزة قد غدا مخروم
وصار فى أرضها القاطن بها محروم
وذل فيها العزيز الفاضل المكروم
لما بتاريخها جارت عليها الروم

٩٩٧ هـ
سنة
١٥٨٩ م

(*) فى الأصل موال .

وأعظم من ذلك كله وأشد اجتراء وتجبرا وعتوا واعتزازا ، قضية مولانا أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبرا الفخام ، صاحب القدر والاحترام والعز والاحتشام ، المتمسك بلطف الملك الممجد حضرة مولانا السيد الشريف محمد باشا حافظ الديار المصرية . والأقطار الحجازية . أدام الله تعالى إقباله . وأفاض عليه نعمه وإجلاله . أنشا فتنة من الجند المذكورين كفى الله تعالى شرها وأذهب عزها وذلك أنه كان فى أواسط شهر الله رجب المرجب سنة ست وألف من الهجرة النبوية[1] ، اجتمع جماعة من العسكر منساير الأقاليم ، وحضروا إلى مصر فوجدوا حضرة

ظهر ورقة (١٨)

مولانا الباشا المشار إلى حضرته فى الربيع ، قد كان متحفظا منهم ومعه طايفة من العرب كالأمير المكرم والكبير المفخم ، الأمير مقلد أمير اللواء الشريف السلطانى . وشيخ العرب عطا الله ، وفخر الفرسان الشجاع الشهير الأمير على بن الخبير ،كل واحد منهم فى مخيم . وقد ركب الأمير دالى محمد فى جماعة كثيرة ، وكذلك كل واحد من أمرا الصناجق المحافظين بمصر فلما نزل من الربيع والأمرا المذكورين ، محفوفين بركابه الشريف ، فنظروا إليهم ، وإذا هم كالجراد المنتشر فأخذ كل واحد من الروس فى الهرب فقصد الصوة فقاصعوا عليه ، واحتاطوا به ، ورموا بندقاً كثيرا ، ونحوا عنه طايفة الينكجرية ، هذا والطايفة يسبونه سباً بليغا ، وحاصروه مقدارا من النهار فقال لهم أيش مرادكم ، فطلبوا منه الدالى محمد المذكور ، وكان من أماثل العسكر الخاقانى ، ومن أكابر الجاويشية ، ومن أهل الكرم والجود ، وله خيرات وصدقات على الفقراء ، وكان أقل صدقاته الربع القرش .

---

(١) فبراير ١٥٩٨م .

ورقة (١٩)

لا يتصدق بأقل منه وكان من أهل الشجاعة فى الفروسية ، وأكثر ما كان يحسن لظاهر الجند بالخيول والقفاطين والشلاوير وغير ذلك . والأمير محمد جلاد خصمى الصوباشى ، والأمير مقلد المشار إليه ، والأمير مراد بن السكرى المحتسب بمصر ، والأمير جعفر رافضى ، وداود أغا الصغير . وجماعة أخر ، ليقتلونهم فأجابهم إلى ذلك ، وقال أمهلونى ثلاثة أيام فزعق كل منهم شرع الله بيننا وبينك ، وطلبوا مولانا قاضى القضاة شيخ مشايخ الإسلام ، فحضر الموالى العظام عبد الرؤوف أفندى القاضى بمصر يومئذ ليحكم بينهم وبين مولانا الباشا ، بمدرسة المرحوم السلطان حسن طاب ، ثراه فأجابهم إلى ذلك فتوجه طايفة كثيرة منهم إلى جانب المدرسة ، وكان من الألطاف الخفيفة على ساير البرية ، أن الله سبحانه وتعالى أرسل ريحا عاصفا عجاجا ، وقد ثار العجاج من ساير الفجاج ، وأظلم الجو جدا ، فأرسل إليه كتخدا العزب أن ينجو بنفسه النفسية ويتقدم

ظهر ورقة (١٩)

ويدخل من باب العزب فهمز بفرسه ودخل الباب وأغلق بعد دخوله ، فعندما وصل إلى الحوش ، ونزل عن جراده ، وأراد التوجه إلى محله ، داس على ذيل قفطانه من الدهشة الشديدة . وقد جآت بندقة ففاتت رأسه ، بدوسه على ذيله ، وسلم الله سبحانه وتعالى ، وقتلوا طايفة من خاص جماعته ، وسلبوا أثوابهم منهم ، حضر أمير الآمرا ، كبير الكبرا ، حسن باشا المدعو بالسكران ، بكلربكى الحبشة يومئذ ، وفخر الآمر الكرام عمدة الكبرا الفخام . بيرى بيك أمير الركب الشريف الحجازى ، ووعظاهم وزجراهم ، فلم يتعظوا ولم ينزجروا ، ثم ذهبوا بجمعيتهم قاصدين لمنزل الأمير محمد ، المدعو بدعوى توزى فلما أن أوتوا عند طورق المدرسة الشيخونية بالصليبة فصادفوا فخر الأمرا الكرام ،

عمدة الكبرا الفخام ، الأمير محمد الشهير بآشجى محمد بيك فنصحهم ووعظهم فقالوا له وأنت الآخر من المطلوبين فقتلوه وقطعوا رأسه ، وختم الله له بالشهادة . ثم توجهوا إلى منزل الدالى محمد بقناطر السبـــاع وقد كان عنده طايفة

ورقة (٢٠)

من شجعان العسكر وأبطالهم وفرسانهم ، منهم الأمير ناصف الدالى والأمير محمد جلاد خصمى ومن شاكلهما وقد كانوا ربطوا على الفرار، من هذه الديار، إلى حين سكون هذه الفتنة ، وانطفاء نار هذه المحنة ، فبادروا إليهم وعاركوه وعاركهم مدة طويلة من نهار ، وقتل من الطايفتين نحوا من عشرة أنفس ، فلما كثروا عليه فرّ هارباً إلى داخل منزله ، وقفل الباب ، وجلس فى كوشك لطيف يشرف على مأذنة المدرسة البُردكية التى بها محكمة قناطر السباع، فصعد جماعة منهم إلى المأذنة المذكورة ، وضرب أحدهم بندقة محررة فجاءت البندقة فى رأسه نفذت إلى الجانب الآخر ، وجاوا وأطلقوا النار فى بابه ودخلوا المنزل وطلعوا إلى الكوشك، وهو مضروب بالبندقة فقطعوا رأسه وعلقوها بباب ذويلة . وقد نهبوا جميع ما بمنزله من الأسباب والبراق والتجملات والخيول الجيدة وكانوا نحو من مائة رأس خيل من الخيول

ظهر ورقة (٢٠)

الجياد المثمنة والسيوف الكمر والرخوت الكمر . مما يساوى جميعه تقريبا خمسون ألف ذهب بل أكثر وتركوه ملقى على الأرض ، وأما الجماعة الذين كانوا عنده ، فانهم رأوا أن البلا قد حلّ بهم وأن لا منجا لهم من ذلك إلا بالهرب، فتحوا باب البركة وتسحبوا منه وتركوا جثة الأمير محمد المذكور على حالها، ثم أنهم تعقبوا أولاد العرب المتزيين بزى الأورام ولبسهم فكل

من وجد واحداً منهم على تلك الحـــالة قتله ، وقد قتلوا أنفساً عديدة منهم وقفلت محاكم مصر . واختفى مولانا قاضى القضاة ويسى أفندى قاضى الديوان الشريف، وما سلم من القتل إلا بأجله ، وهرب الأمير مقلد وداود أغا وابن السكرى والمطلوبين كلهم . ومحمد السـوباشى بمصر ، وولوا كشافاً بالأقاليم باتفاقهم وسوباشى وتحكموا فى مصر وأهلها و نُسى ذكر حافظ المملكة . وكل من وقع له ظلامة يقول الله ينصر العسكر، وخرجوا عن أمر السلطنة جدا فالأمر

ورقة (٢١)

الجزء الثالث

حضرة خضر باشا

إلى الله تعالى وذلك بقضائه وقدره وما شاء فعل . ولم يزالوا فى غيهم وضلالهم القديم والجديد إلى أن ورد أمير الأمراء الكرام ،كبير الكبرا الفخام ، ذو القدر والاحترام ، والعز والاحتشام ، مولانا الوزير خضر باشا . بوّأه الله من العزة والعظمة مايشا . بايالة الديار المصرية . فلما كان فى يوم الأحد عشرى شهر رمضان المعظم قدره وحرمته سنة تسع وألف[1] طلع العسكر وقاضى مصر المحمية يومئذ ، إلى الديوان العالى. وهم على ما هم عليه من طلب الشر ، وقد طلبوا كتخدا حضرة مولانا الوزير المومى إليه إلى حضرته، هو الأمير بهرام وبعض جماعة . وطلبوا من مولانا أفندى المومى إليه النظار بينهم فى دعاوى يدعونها بسبب الشونة وبعض أمور احتجوا بها وكان الكتخدا يومئذ عند حضرة مولانا صاحب السعادة فنزل

---

(١) ١٥ مارس ١٦١١م .

من باب الكيلار، وهو متوجه إلى أن وصل إلى نوبة خانة الجاووشية فهجموا عليه وقطعوه بالسيوف قطعاً وقتلوا أيضا حسين الترجمان والمعلم .

ظهر ورقة (٢١)

يوحنا البيلاوى(*) النصرانى المباشر، وكل ذلك بالديوان العالى وطافوا برأس الكتخدا، وعلقوها بباب زويلة، وتوجهوا إلى بولاق، وقتلوا بها بعض خزان الغلال وعاثوا وطغوا ، ونهبوا أموالا وأولادا، والمرجع إلى الله سبحانه وتعالى وأعجب وأغرب(**) من ذلك وأبشع وأشنع التى هى الطامة الكبرى والصاخة العظمى والواقعة المدلهمة الظلما التى هى لم يسطر نظيرها فى كتاب ولا فى تاريخ من التواريخ الإسلامية وإلى الآن. وقعت فى زمن مولانا وسيدنا أمير الأمراء الكرام ، كبير الكبرا الفخام . صاحب القدر والاحترام والمجد والاحتشام ، المحفوف بمزيد اللطف العميم ، مولانا الوزير حاج إبراهيم باشا بكاربكى الديار المصرية . كان تغمده الله بالرحمة والرضوان . المقطـــوع بمعدلته فى الأنام . ملاذ الخاص والعام . وذلك أن حضرته الشريفة ، وطلعته المنيفة توجه فى يوم الجمعة المباركة غاية شهر ربيع الثانى سنة ١٠١٣[1] بنفسه النفيسة . إلى ناحية شبرا لقطع سد قناطر

الوزير ابراهيم باشا

ورقة (٢٢)

ان المنجا فى موكب عظيم. وعزة وتعظيم. فى(***) القلعة الشريفة وإلى ساحل بولاق مصر. ونزل فى العقبة المعدة له، والمراكب المحفوفة به إلى ناحية شبرا

(*) فى النزهة الزهية « النبلاوى » ص ٦٥ .

(**) فى النص الأصلى والمغرب . وربما كان خطأ إملائياً ، وصوابه « وأغرب » كما كتبناه .

(١) ٢٤ سبتمبر ١٦٠٤م .

(***) هكذا فى الأصل ، وربما يقصد «من» وهو الصواب .

المذكورة ، فنزل بدولاب حضرة مولانا الوزير الأعظم ، والدستور الأكرم ، والمشير الأفخم ، المحفوف بلطف رب العباد ، مولانا مراد باشا الوزير الأعظم يومئذ وإلى الآن ، عامله الله تعالى بجزيل الفضل والإحسان ، وبات به وقد توجه فى هذا اليوم المذكور جمع كثير من أشقيا العسكر المخذول وغيرهم من الجند إلى القرافة ، وتحالفوا فى مقامات الأوليا والصالحين ، على قتل الوزير إبراهيم . وأكدوا الإيمان وأنفقوها وباتوا على ذلك . ثم فى صبيحة يوم السبت مستهل شهر جمادى الأولى من تلك السنة[1] توجهوا بقضهم وقضيضهم إلى ساحل بولاق لملاقاته وهم متسلحين بكامل أسلحتهم وأهبتهم الوافرة فاستمروا هناك إلى وقت أذان الظهر فبلغهم الخبر ، أن حضرة مولانا الوزير المشار إليه جالس بالدولاب المذكور

ظهر ورقة (٢٢)

هذا وهم على الحالة التى وصفناها إلى أن وصلوا إلى الدولاب . فبلغ خبرهم لحضرة مولانا الوزير نصره الله عليهم ، وأنهم فى غاية الكثرة وإشهار الأسلحة والشدة وطلب الشر ، فلم يشعر ، إلا وقد حضر إليه بعض أصحاب الألوية الشريفة وقال له يامولانا ، قم فى هذا الوقت، فانزل فى العقبة قبل أن يتلاحق القوم ، وأطلع إلى القلعة خفية وافعل بعد ذلك ما تريد ، فاغلظ على القايل ولم يلتفت إلى كلامه ، وقال ماقُـدِّر سيكون . ولعمرى أنه كان رأياً مباركا ولكن لا يفيد الحذر مع القدر . ولله در القايل ... شعر :

إذا أراد الله أمراً بامرء	وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيـه وأعمى قلبـه	وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا نفذ فيـه حكمه	رد عليـه عقله ليعتـــبر
فلاتقل فيما مضى كيف مضى	فكل شىء بقضـاء وقـدر

---

(١) ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م .

واستمر جالساً فى مكانه بالقصر داخـــل الدولاب وعنده من أمراء الصناجق الأمير المـكرم عثمان بك العثمانى

ورقة (٢٣)

الخالدى والأمير بايزيد باشا، والأمير محمد بن خسرو ، والأمير درويش محمد ابن مولانا قاضى القضاة عثمان افندى دوقه كين زاده، القاضى بمصر المحروسة كان ، وكان حاضراً فى ذلك المجلس أيضاً سيـــدنا ومولانا أقضى قضاة الإسلام ، أولى ولاة الأنام، فخر الموالى العظام ، قدوة الأهالى الفخام، مولانا مصطفى أفندى عزمى زادة، قاضى القضاة بالديار المصرية، دامت عليه نعم رب البرية ، والأمير الـكبير والعـلم الشهير الأمير مصطفى استقامت ناظر الأموال الديوانية بمصر المحمية . وبعض صناجق أخر، ومن الجاويشية والمتفـرقة مالا يعد، فطلع إلى القصر المذكور من الجند الأسباهية خمسة عشر نفرا، والسيوف بأيديهم ووقفوا تجاهه والشر طالع من أعينهم يتطاير كتطاير الشرر فلما رآهم على هذه الحالة قال لهم ايش مرادكم يا عسكر الشيطان أنا ما أعطيتكم علوفاتكم وترقياتكم بزيادة ، فقالوا له أقصر نحن ما نريد إلا روحك فلما

ظهر ورقة (٢٣)

رآهم على الشدة والغلظة والشر الزايد وإنهم لا يريدون إلا البطش به وقتله تشهد وقام على أقدامه فضربه شخص منهم بالسيف عـلى وجهه فسقط إلى الأرض وتراكمت عليه السيوف ، ثم أنهم قطعوا رأسه بعد أن شنعوا به ، فلما رأى الأمير محمد بن خسرو ذلك ، قام على أقدامه وقال حاس يا طايفة ، هذا ما هو مليح تقتلوا وزير السلطان ، فقالوا له أنت هنا يافاعل، ياتارك ، ثم ضربوه بالسيوف وقطعوا رأسه ، وألحقـوه به ، وحصل لمولانا قاضى مصر ضربة على جبهته ، هذا والعسكر تحت القصر كالبحر الزاخر يموجون

موجا متلاطما ، يكاد يأكل بعضهم بعضا وإذا بالرأس أخرجوها لهم من الشباك ، فسكن الاضطراب والهيجان يسيرا . وقدنزلوا بالرأسين إلى أسفل، وأما الأمير عثمان فانه توارى ، وكذلك كل من كان بالمجلس من الأمراء ، وقتل أيضا من الينكجرية ثلاثة أنفار ، وأخذت الرأسين على رمحين طايفين بهما البلد.

ورقة (٢٤)

وهم ينادون عليهما هذا جزاء من أفتن ، بين عسكر السلطان ، ثم أتوا بهما إلى باب زويلة ، وعلقوهما على سقيفتهما إلى ثانى يوم بعد طلوع الشمس فأخذا الراسين ، ودفنا رحمة الله تعالى عليهما ، وقال بعضهم مؤرخا :

قتلت عسكر المليك وزيرا	ضربته بالسيف ضرباً شديدا
قطعت رأسه ومات فأرخ	للنعيم الوزير راح شهيداً[1]

ولبعضهم مؤرخا شعر : سنة

١٠١٣

مذ رأيت الباش ولى	وانقضى والناس نعيا
قيل هل مات بحق	قيل فى التاريخ بغتا

١٠١٣[2]

وأصبح أحوال الناس فى غاية التشويش والاضطراب لعدم من ينظر فى أمورهم وذكر أن الطايفة المذكورة،ذهبوا إلى فخر الأمراء عثمان بك، يسألونه أن يكون قايم مقام،فأبى وامتنع فأقامو لانا شيخ الإسلام قاضى مصر ، قايم مقام ، وجعلوا الأمير ناصف سوباشى، ثم ألبس قاضى مصر شخصا قفطاناً ليكون داواداراً ، فبينما هو مار بالحلمة تحت الغورية وإذا بطايفة

(١) قائل هذين البيتين الشيخ عبد الرحمن الملاح ، وقد ذكرهما المؤلف فى النزهة الزهية ، ص ١٠٣ ، مع تحريف بسيط فى البيت الثانى حيث ذكره على الوجه التالى :

قطعت رأسه وقد أرخوه للنعيم الوزير راح شهيدا

(٢) ١٦٠٤ م .

ظهر ورقة (٢٤)

حضرة مولانا محمد باشا الخادم

من الجند رواه كذلك ، فسحبوا عليه ، وضربه أحدهم بسيف هذل كتفه،وغير ذلك من الأمور العظام ، فنسأل الله تعالى العفو والعافية،وأن لا يسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، ولم يزل الأمر على ذلك،الى أن ورد مولانا أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام ، ذو القدر والاحترام، مولانا محمد باشا الخادم الكرجى، بكلر بكى الديار المصرية ، فلما أن ورد إليها حضر إليها من الاعتاب السلطانية جا ينكيرباشى راس الجاينكرية ورئيسهم وبيده خط همايون، الذى هو بالسعادة مقرون . وأحكام شريفة لجميع الصناجق . ولجميع عساكر الديار المصرية ، بمنع الطلبة،والفحص عن أصلها،وعن سبب قتلة مولانا ابراهيم باشا الوزير ومن قتله فاجتمعوا كلهم فى قرة ميدان ،وحضر أيضا مولانا الشيخ العلامة العمدة محمد أفندى التى برمق . زيد فضله . فطلب حضرة مولانا محمد باشا الجواب من كبرايهم عن ذلك

ورقة (٢٥)

لكونهم هم المسئولون عنـــه . وأجتمع جميع العساكر فى قرا ميدان كما تقدم فقال لهم ، أسألوا الامرا الصناجق، والأغوات،وأكابر الدولة،وبقية العسكر عن سبب ذلك فنزل الامر والأغاوات وطال بينهم القيل والقال وقالوا إن فيكم المفسدين ومن يجب إزالته. فان كنتم تريدون العفو عن ذنبكم فاتوا بالمفسد منكم، ليخرج من حقه، فاتفقوا بعد أن كتب أسماء جماعة منهم على ذلك . وقفل باب قرة ميدان الكبير ، ونزل بالمصحف الشريف مولانا محمد أفندى التى برمق والأمير المبجل على الهلالى كتخداء الجاويشية ،ووقفا على حافتى الباب،وخرج العسكر نفرا نفرا ، وكل من خرج حلّفوه على أنه

على كلمة واحدة، وأن يكون معاونا للدولة وأن يحضروا المطلوب من المفسد منهم، وأن لا يحصل منهم فساد لأحد من الرعايا، ولا يخرجوا عن أمر الملك ولا عن طاعته، ولا يتعرضوا لمجالس الشرع الشريف وتقدم

ظهر ورقة (٢٥)

لهم بذلك مجالس سابقة، لم نذكرها خوف الاطالة فصار يطمنهم ويأخذ منهم إلى أن أخذ منهم جماعة كثيرة شيئا فشيئا بحسن تدبيره، ولو بقى بمصر ما بقى منهم واحدا. وكل من ظفر به منهم أرسله إلى المشبك، ثم تمادوا على هذا الحال من تلك الزمان، وإلى هذا الأوان ولم ينتهوا عما نهوا عنه زجروا وحلفوا وتزايد أمرهم. وظهرت(*) قوتهم وغدرهم وبغوا وعتوا أكثر من الأول. وما قدر فى الأزل فهو واقع لا مانع منه ولا دافع وقد قلت

مصر لك الله لقد أصبحت	يبكى عليها بالدموع الغزار
عن حالها حالت وقد أصبح الـ	حال بها فى شغل قلب احار
فلا رجاء لا ولا ماء منا	كلا ولا جاربه يستجــار
ولا أمـــير بأمر مشفق	أعان عان ثم راح أجــار
ولا ولى يتـــولى اذا	كشف من الله لدفع الاصار
فمن لذى محنـــة وشدة	ذو غيرة أو منقذ من عثار
فالهجرة الهجرة من مصر لا	مقام فيهـا والفرار الفرار
ليس لها كاشفـــة دونه	برحمة تدرك ذو الاختيار

ورقة (٢٦)

فالغوث أنت الغوث منك الرجا	أنت ملاذى أنت والمستجار
وصل يارب علـى المصطفى	وآله والصحب آل الوقار

ولما أن تم الأمر على هذا الحال. من تقلب الأحوال. وكثرة الأهوال

(*) فى الأصل وظهر، ونعتقد أنه خطأ من الناسخ وصحة اللفظ « وظهرت » كما كتبناه .

وركوب الاخطار . وعدم البصيرة والاستبصار ، وكل من ورد بعد ذلك من البكلاربكية إلى ديار مصر المحمية . لا ينبغى له إلا أخذ هذه الطايفة بالملاطفة اذ لا تعمل فيهم كثرة المجانفة ، لما ألفوه من المخالفة وقد وقع بسبب ذلك عامة الرعايا فى المهالك.وأنتشرت هذه البلية الطامة والرزية العامة والأخبار الموحشة، والبلايا المدهشة ،إلى حضرات السلطنة الشريفة والسدة الخاقانيه المنيفة سلطان سلاطين الزمان وخاقان خواقين العصر والأوان ، وخليفة اللهالأعظم فى أفراد بنى نوع الانسان،ثالثالعمرين صرامة وحزما من ملوك ال عثمان ، ظل الله الممدود على كافة أهل الايمان . وسيفه المسلول بيد القهر على أهل البغى والعدوان .

ظهر ورقة (٢٦)

قاتل الكفرة والمبتدعة والخوارج وسائر حزب الشيطان القايم بفرض الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى ،واذلال أهل العصيان . لم تكتحل عين الزمان بمن يوازنه أو يوازيه ،ولا تنظر أحداق النجوم مع كثرة دورانها حول السما والأرض من يساميه أو يساهيه . صاحب الأمامة العظمى، والسلطان الباهر ووارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر . مرغم أنوف الفراعنة كاسر تيجان الأكاسرة،قاصر قصور القياصرة. هازم جنود البغاة وجيوشها. هادم حصون الطغاة،فهى خاوية على عروشها اسكندر الزمان الذى نصر محمدا صلى الله عليه وسلم فى هذا الأوان وا كبت له[1] عدا واذل من أستطال وأستعز بجهله على شريعته قاعدا . وصار الاسلام والمسلمين بجهاد الكفرة والملاعين وازالتهم فى حُصَـْينٍ حَصِـينْ ومكان مكين وازال الجور عن الأمة ، وردعنهم كيد الكايدين سلطان الحرمين المحترمين،حامى القبلتين ملك البرين والبحرين والعرب .

---

(١) بياض فى الأصل .

ورقة (٢٧)

والعجم والروم واليمن . والترك والعراقين ، والشرق ، والغرب ، والحبشة ، والهند والخافقين . ملك جهان، ناشر علم العلم والإحسان ، جامع ذيول الأقطار ، فاتح البلاد والقلاع ، مبيد الطغاة والبغاة والمدافع والقلاع، المؤيد من السماء،المنتصر على العدا.مدبر البلاد بالعدل والإيمان . ناصر الشريعة المحمدية بالفضل والأمان. السلطان الأعظم . والليث الغشمشم. والبحر القطمطم. ذى الجيش العرمرم واسطة عقد ملوك آل عثمان ، ذى الفضل والإحسان. المحفوف بأصناف ألطاف عناية الملك الصمد ، حضرة مولانا السلطان المعظم المبجل،أحمد بن مولانا السلطان الأعظم الأمجد الأفخم،محمد خان بن المرحوم مراد خان بن عثمان ، شعر :

ملك إذا ضـــاق الزمان بأهله ... بخلا توسع فى المـكارم وانفسح

يكسو السحايب إذا تجارى كفه ... فالغيث من جنباتها عرق رشح

ويكاتّف الأسد الهصور بمَدْ لِه ... فى القفر أن يرعى الغزال إذا سنح

ظهر ورقة (٢٧)

خلد الله تعالى ملـكه ، وأعز أنصاره ، وضاعف عظمته واقتداره ، وختم بكل خير وسعد أعماله ، وقرن بالنجح والسلامة آماله . وأجرى أحكام سلطنته فى أكناف أطراف الربع المسكون، ماتعاقبت الأعوام والسنون. وجعل الملك كلمة باقية فيه وفى عقبه إلى يوم القيامة . ومنحه فى الدنيا والآخرة مايليق بعظمته وجلاله . من أنواع العزة والـكرامة . شعر :

وهــــذا دعاء لايردُّ لأنه ... يزان به كل الورى والممالك

تراه بلا شك أجيب لأنه ... إذا ما دعونا أمنته الملايك

أنعم بإيالة مصر المحمية من الوزارة العلية . لحضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم ، والمشير المفخم ، والدستور المكرم ، مهـد أموراً لجمهور الأمم منصف المظلوم ممن ظلم نظام العالم ، رافع آثار الجور والفتن ، وقالع مآثر الظلم والإحن ، وجواد لم يمحق الهلال إلا ليكون نعلا لحافر جواده . ولا مدت الثريا أكفها الخضيب ، إلا للتمسك بذيل كرمه وإمداده

ورقة (٢٨)

ولا سل الصبح سيفه ، إلا قال الله أكبر على أعاديه ، ولا احمرت الشفق من الخافقين إلا احرمة لحرمة خافق لوايه . ولا أمطرت السحب إلا بكاء من خشية جلاله ، ولا استقرت البروق إلا خجلا من لمعان سيوفه ونصاله . ولا تحلت الخناصر بالخواتم إلا لأنها تعقد عليه ، ولا كحلت العيون السود بسواد النور الباصر ، إلا لتستشرق النظر بالنظر إليه ، ولا فتحت الدوى أفواهها ، إلا لتنطق بمدحه ألسنة الأقلام ، ولا حبر الحبر بياض الطروس بسواد السطور إلا ليشير أن الليالى والأيام من جملة الخدام . ليث عرين الوطيس بأساً وجأشاً . مولانا الوزير المعظم . الوزير محمد باشا كافل المملكة الإسلامية بالديار المصرية وتلك الأقطار الحجازية والآثار النبوية . أنعش الله تعالى به بساط البسيطة انتعاشاً . ولا زال عمود خيام هذا الدين القويم بمصر المحروسة بعدالته المأنوسة قايما وكلما نوت أعداه فعلا مضارعاً كان سيفه جازماً ، وهو الذى قمـع

ذكر الوزير سلحدار محمد باشا وهو معظم الكتاب

ظهر (٢٨)

الأعدا من أوباش الطايفة المخذولة . وأخذهم بالنواصى . وبدد شمل البغاة العصاة ، وفرقهم إلى الأقاصى . وهو الذى من حل فى فنايه ، أمن من عوارض

الفنا ، ومن استجار بحماه . خلص من بوايق الردا والبلا ، ومن استظل بظل رأفته ، وجده الظل الظليل ، ومن التجأ بمقيل حماه ، وجده أحسن مقيل ، وهو الذى من قصد بابه ماخاب ، ومن لزم جنابه الشريف عاش وطاب . وهو الذى دأبه إغاثة الملهوف، وإسدا المعروف ، وهو الذى اصطفاه الله ، وزاده بسطة فى العلم والجسم ، وهو الذى منحه الله تعالى من المكرمات أوفى قسم وقلت :

ولو أن أشجار البلاد خلقن فى — أقلام خط والمداد الأبحرا
وأردت حصر فضايل جمعت له — دون البرية كنت فيه مقصراً

اللهم أدم عبدك هذا الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك ، سيفك القاطع وغضبك اللامع . بيت :

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجده — ملء المسامع والأفواه والمقل

ورقة (٢٩)

اللهم أشكر عن العالم سعيه ، وأنفذ فى أقطار البلاد المصرية أمره ونهيه . وأصلح اللهم له أواسطها وأطرافها وأرجايها وأكنافها . ويسر أمره . واشرح صدره . وارزقه الوفاة على الإيمان ، بجاه محمد سيد ولد عدنان . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى منتهى الدوران . ثم إن حضرة مولانا الخنكار الأعظم . أوصاه بأهل مصر والحنو عليهم ، ونشر العدل فيهم ، ومعاملتهم بالعدل والإنصاف، ورفع الظلم والجور والاعتساف . وكان من أعظم الوصية الأكيدة على ماذكر ، إبطال الطلبة ورفعها بالكلية ، وكل من خالف وعاند وكابر وكابد وكايد قتل شر قتلة ، واستبيح ماله بلامهلة . وهو مصغ لكل مايقول ، يمتثل لجميع ماخوطب به من الأوامر الخنكارية . بغاية

القبول وأعطاه خط همايون الذى هو بالسعادة مقرون . فلما قضى من القسطنطينية المحمية الأرب ، وجدّ فى الاجتهاد إلى الديار المصرية

ظهر ورقة (٢٩)

الطلب . نزل فى السفن التى هى فى البحر كالأعلام . قاصداً ثغر الاسكندرية ثم منها إلى الديار المصرية ، سايرا بسلامة الله تعالى فى ذلك البحر الفسيح تارة بالكورك وتارة بالريح . فبعد يسير من المسير لاح له الثغر المذكور وقد ازداد رفعة وسروراً فخضعت الأعناق وتطاولت الأحداق . لذلك المرأى المدهش . وانتعشت النفوس بذلك المنظر الشريف المنعش ، فأى صدر ماشرح عند رؤيته ،وأى قدر ماتضاءل عنده مشاهدة عزه وعظمته ، وأى بدر ماغاب . وأى شمس ماتوارى ضياؤها فى الحجاب ، وقد تلقاه بالاستقبال فى الديار المصرية أكابرها وأعيانهـا . ومن القاهرة المعزية وأمراؤها وأركانها وفضلاء دولته وعظماؤها وهنوه بالسلامة وقد حفت به الكرامة قلت :

ياوزير بك نهنى	فيك نال المحب ما قد تمنى
فرح الدهر والورى بك حتى	صفق النهر والحمام تغنى
هذه الدولة التى كل عطف	حين يملى ثناؤها تتثنى

ورقة (٣٠)

هى لما درت بأنك تجلى	فى حلاها زادت بهاءاً وحسناً

وقلت أيضاً :

ياوزير البر يامنقذ الأمم	وأسعد وابشر بنصر الله عن أمم
أضحى بعدلك هذا المصر ملتئما	وهل بعدلك مصر غير ملتئم
يافاعل الخير طبعاً منه تكرمه	ومولى العرف فى مصر بلا ميم

قد أصبحت بك مصر بعد غربتها ... مأهـــولة بـكم فى غاية النعم
مكفولة منكم أبدا بخير أب ... وخـــير بعل فلم تيتم ولم تيم
فالنيل من بعد غدر قد وفا وغدا ... جار كبحر نـوال منك ملتطم
بالشكر كل لسانى ناطق أبدا ... محمدى الخلق محمـــود بكل فم

هذا وقد استبشر جميع أهل الثغر بطلعته ويمن غرته . فنصب سرادقه الشريف العالى . ورواقه المنيف السامى المتعالى . بفيحاء الجزيرة الخضرا المنصورة الزهرا . المحفوفة بالأوليا والصالحين والشهدا من صحابة أشرف المرسلين خارج الثغر المذكور باليمن والحبور . وقد حفت به جنود النصر والاقبال وأحدقت باطناب مخيمه الشريف الكماة والأبطال . وتطأطأت قلئم تراب

ظهر ورقه (٣٠)

اطنابه ، جباه الإقبال . وحصل من حضرته إنعام عام ، فى ذلك المقام وزاد كل واحد من العسكر فوق مايليق من الترقى من عثمانى فأزيد ، ولم يحرم أحد من الأنعام ونالوا جميعا غاية المرام. هذا وهمته الشريفة للنظر فى أحوال الرعايا والأمم وإنصاف المظلوم ممن ظـلم ، وذلك أن شخصا شكى إليه أن نفرين من الجند أتوه فى طلبة بناحية إدكو[1] وأخذ جمـــله فيها ، فأمر باحضارهما . فذهب جاويش ليحضرهما فوجدهما تركا الجمـل وهربا فسلمه لصاحبه . وكان يومئذ قاضى الثغر المـذكور . مولانا وسيدنا أقضى قضاة المسلمين ووالى ولاة الموحدين . معدن الفضل والجود واليقين، حاوى كمالات المتقدمين والمتأخرين . خادم شريعة سـيد المرسلين مولانا حسن أفندى ابن مولانا قاضى القضاة . فخـر الولاة . تقى الدين أفندى التميمى الدارى الحنفى طاب ثراه ، وأدام مولانا ولده المشار إليه ، فواجه مولانا الوزير وقابله ، وحصل له منه غاية الالتفات والإقبال و باسطه وحادثه

(١) ويقال «إتـكو» بالتاء . هكذا كتب على هامش النص .

وعطف عليه . ومال بكليته إليه — وسأله عن أمور بالثغر . توجب السؤال، فردها بألطف إشارة وأظرف عبارة . ثم بعد فراغه من الحديث عن القديم والحديث . توجه من يومه ذلك هو ومولانا حسن أفندى التميمى المشار إليه، وهو يسايره إلى زيارة مقام حضرة مولانا وسيدنا الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر ، القطب الربانى ، والعارف الصمدانى ، مربى المرتدين ، وقدوة الناسكين ، وامام المسلكين ، ذو الأنفاس الطاهرة ، والكرامات الظاهرة ، والأسرار الباهرة ، والمكاشفات الفاخرة ،الأستاذ الأعظم ، والولى الأقدم قطب الأقطاب.

الشيخ أبو العباس المرسى

وسيد الأنجاب ، مولانا الشيخ أبو العباس المرسى . نفع الله تعالى المسلمين ببركاته ، وعاطر أنفاسه ، واستيناسه ، بخلواته وجلواته ، وتبرك بالمقام الشريف ، وحصل له بذلك غاية التشريف ، وتنفل ببعض ركعات ، وقرأ بعض آيات ، ورزق وفاز بالثواب العظيم ، والأجر المقيم ودعا لحضرة مولانا الخنكار الأعظم

ظهر ورقة (٣١)

بالنصر والتأييد ، والعز والشرف المزيد ، كل ذلك وهو بغاية الخضوع ، والخشوع ، والتواضع . والسجود والركوع ، وأعطى ووهب ، وقرب وتقرب ، وفرق شيئا كثيراً ، وأعطى غنيا وفقيرا ، وأغدق على أهل المقام الشريف ومجاوريه ، وحصل منه غاية الأنعام ، وضحى بكثير من الأنعام ثم منه وإلى زيارة مقام فخر الأوليا ، وعروس الاصفيا الذى كان يسمع أصوات آذان ديوك العرش فى كل مساء وصباح ، ويجيبهم بحى على الفلاح ذو الرتب العلية ، والكرامات السنية ، والمواهب الربانية ، أبو الروح ، سيدى ياقوت العرشي ، تلميذ مولانا الشيخ أبو العباس المرسى ، وهو فى

غاية ما يكون من الخضوع والسكون، وفعل من الأنعامات كفعله المتقدم. المغنى(*) والفقير والمعدم. ثم سار منه إلى زيارة مقام العلم الكبير، والولى الشهير، ذو الفضل الأثير، والكرامات التى ليس لها نظير، الصالح

ورقة (٣٢)

أبو الحسن الشاذلى

الأوحد، الفرد البارع الأمجد. شيخ مشايخ الطايفة الشاذلية، بثغر الاسكندرية ومصر المحمية سيدى أبو الحسن الشاذلى، نفع الله المسلمين ببركاته الباهرة، وأسراره الطاهرة، ووهب وأعطى، وفرق شيئا كثيرا على عادته، ثم منه إلى زيارة مقام سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله تعالى، سيدى أبو الفتح الواسطى، ثم منه إلى مقام الشيخ الأعظم، والولى الأفخم، الذى خضعت له الأسود والوعول والفهود فى الأقاليم السبع، سيدى نجم الدين السبع، ثم منهُ إلى زيارة صاحب الإشارات والمعانى سيدى عبد الله اليمانى، كل ذلك ومولانا حسن أفندى، يساريه فى ركابه الشريف فى الذهاب والإياب، وقد حصل لهم بذلك جزيل الأجر ومزيد الثواب، وبما أنعم على الفقراء والمجاورين بالمقامات الشريفة والحضّار والغيّاب قد حصل لهم الانتعاش والارتفاق وملأوا بالدعاء

أبو الفتح الواسطى

ظهر ورقة (٣٢)

له رحاب الأرض، وآفاق الآفاق. ثم توجه فى يومه ذلك بعد انقضا الزيارة قاصد الكشف على الحصار[1] الكبير الأشرفى. إنشاء إمام المسلمين

(*) هكذا فى الأصل وربما كانت صحتها « الغنى ».

(١) الحصار = الحصن.

وقامع الكفرة والمتمردين . المالك الملك السعيد الشهيد ، السلطان قايتباى المحمودى(*) ، المقطوع بولايته وعدله ، سقى الله ثراه من سجال فضله ، وكشف بنفسه النفيسة على الحصار المذكور كشفا شافيا وتأمله تأملا وافيا . فوجد به خللا فى بنايه فبرز ، أمره الشريف بترميمه وعمارته أتقن عمارة ، وأمنعها وأحصنها وأنفعها ثم صعد منه إلى المسجد المبارك بأعلى الحصار المذكور المستجاب فيه الدعا فزاره وتبرك به وجلس هناك وقرأ وتهجد وركع وسجد وسأل الله تعالى الدعا ، وأرجو أن دعاءه الشريف لا يخيب ، فان الله سبحانه وتعالى ، قريب مجيب ، ثم أنعم على من بالحصار من الجند القاطنين به ، ونظر إليهم ، وأكرمهم ، وكذلك لأرباب شعاير

ورقة (٣٣)

المسجد ، من الفقراء وغيرهم ، وقرب قربات كثيرة ، وأنعم إنعامات أثيرة غزيرة . وعمر الحصار بعد ذلك عمارة جيدة حسنة مانعة ، فى غاية الإتقان والأحكام على وجه المكنة والإتمام(**)

ثم إن مولانا الوزير نصره الله تعالى ، رجع من الحصار المذكور ، إلى زيارة مقام مولانا وسيدنا الولى الشهير ، والعلم الخطير ، من عمت بركاته أهل الغرب والشرق ، سيدنا عبد الله البرق ، وحصل له بزيارته غاية البركة والأجور والحظ والسرور ، وفرق وأغدق وأنعم وتصدق ، ثم بعد انقضاء زيارة تلك المشاهد العظام والمقامات الشريفة الجسام . وقد فاز بالأجور والحبور ، عمد إلى سرادقه الشريف ، ومخيمه المنيف ، وهو بغاية التعظيم والتشريف ، هذا ، وفى أثناء ذلك النهار ، لم يستقر له قرار إلى أن توجه ومولانا حسن أفندى فى ركابه الشريف

(*) من أبرز سلاطين دولة المماليك الجراكسة تولى السلطنة فى الفترة من ١٤٦٨ حتى ١٤٩٦ م .

(**) حذفنا هنا بقية وجه هذه الورقة ٣٣ وحتى بداية ظهرها لخروجه عن الموضوع.

ورقة (٣٤)

كعادته ، يسايره ويسامره ، وهو فى غاية ما يكون ، من الرفعة والعظمة والعز الشامخ والهيبة التى ملأت الآفاق ، والمجد الباذخ ، إلى زيارة مولانا وسيدنا وخلاصة الأوليا بلا نزاع ، وسلطان الأصفيا بلا دفاع ، الزاهد الورع الأوّاب، الساجد المتهجد التوّاب، ذو الأنفاس الطاهرة، والكرامات الباهرة ، والفضايل المتكاثرة ، صاحب الولاية على الاطلاق ، ولى الله تعالى، والعارف به ، الشيخ عبد الرازق ، وزار المقام الشريف ، وصلى وابتهل وتوسـل إلى الله سبحانه وتعالى ، وسأل وقرأ وتهجد . وركع وسجد ، وحصل له غاية الثواب والأجور ، بزيارة هذا الولى المشهور ، وضحى وأغدق ووهب وتصدق ، وأحسن إلى جميع المترددين إلى ذلك المقام ، من الزوار والقراء والمنشدين ، وإلى جماعة الوعاظ والصوفية ، وطلب منهم الدعا باخلاص نية ، ثم توجه منه إلى زيارة الباب الأخضر الذى هو لإجابة الدعا مجرّب مشتهر . ثم إلى الجامع الأخضر الكبير الذى يتبرك

ظهر ورقة (٣٤)

به الصغير والكبير ، وصلى وتهجد . وركع وسجد ، وحصل له بزيارة من بتلك الحومة من الضحايا والشهدا والصلحا والنجبا ، ثواب جزيل ، وأجر عظيم ، ودعى وسأل الله تعالى إجابة ما فى ضميره ، وأن يوفقه فى إقامته ومسيره ، وطلب منه مزيد البركات ، والعنايات بخالص النيات

ومشى بعض خطوات إلى المسجد المبارك العمرى ، داخل الجامع الأخضر المذكور الذى أنشأه مولانا وسيدنا الصحابى الكبير ، والعلم الخطير ، والشجاع الشهير ، فاتح الديار المصرية ، وأميرها فى الخلافة العمرية ، بعناية رب البرية ، السيد عمرو بن العاص الأموى ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وانفرد بنفسه النفيسة فيه ، وشكر الله تعالى وحمده ، وعرف نعمة الله عليه ، وهو من المتواتر عنه أن الدعا عنده مستجاب هذا ومولانا الوزير المشار إلى

حضرته العلية ، مواصل الاحسان والانعام ، فى مقامات الأوليا ، وفقرا الاسكندرية بكرة وعشية مع رفع ظلامات كثيرة، ودفع محدثات كالشمس ظهيرة ، ماسكا عصا الشرع

ورقة (٣٥)

الشريف بكلتا يديه ، جاعلا الشريعة المطهرة ، نصب عينيه ، ثم أنه تمادى هنالك ، بقتل الأمير برويز كاشف إقليم المنوفية ، لشدة ظلمه وجوره ، وشكاية الرعايا فيه ، ومزيد عتوه وفجوره ، ثم توجه فى طالع سعيد ، ووقت مبارك حميد رشيد ، إلى محروسة رشيد ، وهو بالأهبة الكاملة والسعادة الشاملة ، ثم فى مسير على مقام مولانا وسيدنا الصحابى الأكبر ، والعلم الأشهر ، العالم الكامل العابد ، الراكع الساجد ، الصايم القايم الزاهد ، ذو المناقب الكثيرة ، والبركات الأثيرة ، والكرامات الشهيرة، الواثق بالملك البارى ، سيدى جابر الأنصارى ، نفع الله تعالى ببركاته الطاهرة ، وأسراره البـــاهرة فى الدنيا والآخرة ومقامه الشريف ، خارج الثغر السكندرى من باب رشيد المعمور ، فعطف مولانا الوزير المشار إليه ، وقصد زيارة مقامه الشريف بقلبه وقالبه ، وتوجه بغاية الخضوع والاستكانة والخشوع وإجراء الدموع . وأخذ

ظهر ورقة (٣٥)

فى القراءة والصلاة والابتهـال ، والدعا لله الملك المتعال ، وأجرى عليه من الأنعام أثر باق على ممر الليالى والأيام، فرأى فيه بعض خلل فى عمارته، وتضايق المقام ، فأمر لمتوليه والناظر عليه يومئذ ، هو فخر الأماجد والأعيان الأمير محمد بن بلال ، من أماثل الأمراء المتفرقة بالديار المصرية، زيد مجده ، بعمارته وتوسعته وإتقانه وإصلاحه وتبييضه ، فامتثل ذلك ، ووسع المقام الشريف توسعة مشرقة نيرة جيـدة فى غاية الإمكان ، ونهاية الإتقان ، وأنعم مولانا الوزير على من بالمقام الشريف ، من المجاورين والمترددين إنعاماً غزيراً ،

وذبح لهم من الأضاحى كثيرا ، وأرصد على المقام المنيف بعد ذلك، ملاحة مستجدة استجدت خارج الثغر السكندرى ، بعرض من مولانا قاضى القضاة حسن افندى المشار إليه ، وكتب بذلك مكتوباً عجيباً بخط مؤلف هذه الرسالة المباركة ، وإمضاً مولانا حسن أفندى دام فضله ، غلتها فى كل سنة ألفى نصف يصرف من ريعها على سماط يعمل فى كل ليلة

ورقة (٣٦)

جمعة واثنين، على الدوام والاستمرار ، برسم الفقرا والمقربين والمنشدين ، وأحيا تلك الليلتين بالقرآن والذكر والإنشاد ، وصار ذلك أثراً باقياً فى صفحات الزمان ، مكتوباً فى صحايف مولانا الوزير المعظم ، محمد باشا، الذى كان فى ذلك ، أجلسه الله تعالى على الارايك ، وسلك به أشرف المسالك ، وجنبه الردى ، ونجاه من المهالك ، بالنبى والملايك آمين(*) ، ثم إن حضرة الوزير نصره الله تعالى ، لم يزل بجد السير ، إلى أن وصل بسلامة الله تعالى إلى الثغر الرشيدى المحروس ، وهو على ما هو عليه من العظمة والجلالة فنظر فى أحوال أهالى الثغر ثم توجه إلى الحصار الذى هناك بنفسه النفيسة ، فوجده فى غاية العمار والاتقان[1] والأسلحة الكاملة والعدة الوافرة الشاملة، وحصل بذلك الحظ المعظم والبسط الزايد ، وأنعم على من بالحصار من العسكر والمرابطين ، وأرباب الشعاير بالزاوية التى به ، والمقيمين ، ولما شكت بعض الرعايا من شخص من الجند كان هناك يدعى ، ترك محمد ، من طبعه

ورقة (٣٧)

ايذآ الناس والتمرد والعناد[2] ، شديد الباس صعب المراس لا يسمع كلام

(*) نقلنا بقية وجه هـــذه الورقة وظهرها وحتى بداية الورقة ٣٧ لخروجه عن

(١) الأصل «والاتفاق» ، والصواب «والإتقان» كما كتبناه .
(٢) الأصل «والعناء» والصواب «والعناد» كما كتبناه .

مشير ولا يعي بكبير ولا صغير ، فأحضره مهاناً حقيرا ، ذليلا أسيراً، فسجنه وأنفذ بعد ذلك أمر الله فيه ، وكان جباراً عنيدا وشيطاناً مريدا ، لم يسلم أحد من أذاه وشره وضره ثم انقضا أربه من الثغر المذكور ، والنظر فى مصالح الأمور وتوجه مصحوبا بالسلامة ، مع العزة والكرامة ، إلى أن وصل إلى كوم الأفراح المزيل للأتراح ، الباعث على الانشراح نفع الله تعالى بمن سكن به من الأوليا والصالحين ، والشهدا المغازين ، وزاره ومن به من الصحابة والمخلصين ذوى النجابة ، وأحسن على عادته المألوفة ، ثم سار وأكابر الدولة والعسكر المنصور محفوفين به ، والسعد يخدمه ، هذا وكل من ورد عليه، من الكشاف والأمنا والملتزمين ، يقابله بسن ضاحك ووجه مبتسم ، وبشر وإقبال ، ويلبسهم الخلع والتشاريف ، وكل من ألبسه

ورقة (٣٨)

قفطانا شرط عليه ، أنه يمشى بالاستقامة مع الرعايا . وأن لا يكتب لأحد من الجند طلبة مطلقاً ، ومتى بلغه عن أحد منهم مخالفة ، وأنه أعطى طلبة لفرد من أفراد العسكر ، يكون ذلك القفطان كفنه ، وتم على ذلك ، وكلما ورد على ناحية من النواحى ، أو قرية من القرى، يرفع ظلامة من يرفع إليه فيه الظلامة ، إلى أن وصل مصحوباً بالسلامة[1] الله تعالى ، إلى ناحية شبرا المدينة ، وجزيرة الفيل ، وهو كما ذكرنا بغاية العظمة والهيبة ، فنصب له سرادق هناك ليس له نظير ، والسعد يقدمه والدولة تخدمه ، والرعايا تهنيه ، ويستبشرون بالنظر إليه ، والعساكر صفوفا بين يديه ، وكان دخوله إلى شبرا يوما مشهودا ، وهو التاسع عشر من شهر الله صفر الخير سنة ١٠١٦[2] فى طالع سعيد ، وساعة سعيدة مباركة ، فأقام بها ثلاثة أيام فى أرغد عيش وأهناه

---

(١) لعل صحتها بسلامة .

(٢) ١٥ يونية ١٦٠٧م .

وأمرائه وأمراه، ثم توجه بوجهته الشريفة منها إلى دار سعادته، ومحل عظمته وإيالته

ظهر ورقة (٣٨)

ومقر جلالته وسيادته، بقلعة المصر الصلاحية المنصورة المحمية، حيث عن كل أصروبلية، وجميع الأمرا الصناجق والجاووشية، وأكابر الدولة والخدام، والنوبتجية، واقفون على الأقدام، فأنعم عليهم بالترقيات الجسيمة، والانعامات العميمة وسلموا وانصرفوا، وصار يأتى إليه طايفة بعد طايفة، وجماعة بعد جماعة، يسلموا وينصرفوا، وكذلك طايفة القضاة والعلما، والأفاضل والعظما، يأتون إليه ويهنونه ويقبلون يديه، وحصل لأهل مصر برؤيته السرور العام والتأمين والتطمين والاستبشار التام، وكان جلوسه بالقلعة المنصورة الأيوبية والتخوت اليوسفية، يوم السبت المبارك حادى عشرين الشهر المذكور(١)، زاده الله عزا وإجلالا، وهيبة وعظمة وإقبالا، وبلغه أعلا مراتب الرضا حتى يقول جميع العالم هكذا هكذا وإلا فلالا، وكان الأمر كذلك والحمد لله على ذلك، وكان ما بدا به من

ورقة (٣٩)

الخيرات، وإسداء المبرات، زيارة الأوليا والصالحين على عادته فى كل قطر، بالقرافتين الكبرى والصغرى وهلم جرا، خصوصا حضرة سيدنا ومولانا إمام الأيمة وناصر السنة، صاحب العلم النفيس، أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى الهاشمى المطلبى، سلطان مصر عن يقين، وحامى حوزتها عن المفسدين والمعتدين، وقرأ عنده شيئا من القرآن المجيد، وتضرع إلى مولاه

---

(١) ١٧ يونية ١٦٠٧ م .

بأن يرزقه التوفيق والتسديد ، وأحسن وتفضل ، وفرق وأغدق ، على من بالمقام الشريف من القطان والمجاورين والزوار وكان شيئاً جليل المقدار ، ثم سار منه إلى زيارة مقام مولانا الإمام المجتهد ، المجيد البارع(*) ذو الكرامات الظاهرة والأنفاس الطاهرة ، الترياق المجوب والباز الأشهب ، مولانا أبو الليث بن سعد الفهمى القلقشندى المصرى ، نفع الله تعالى بعلومه وبركاته ثم إلى مولانا وسيدنا ولى الله على الإطلاق ، ومن أوتى عنان

ظهر ورقة (٣٩)

العلوم الاستحقاق ، القاضى بكار ، ذى العدل والإيثار ، ثم منه إلى ضريح أمير الأمراء الكرام كبير الفخام ، مولانا على باشا الخادم بكاربكى الديار المصرية(**) ، تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان ، ثم توجه من فوره إلى زيارة مقام الولى العارف بالله تعالى الصحابى الكبير العارف الشهير ، سيدى عامر بن عقبة الجهنى ، ثم إلى مقام ولى الله تعالى والعارف به ، فارس مطايا بالقرافة الصغرى ثم إلى مقام سيدى أبو السعود بن أبى العشاير ، ثم السادة الشاذلية والوفائية، بهمة علية ، وطلعة بهية ، ثم زار غالب المشاهد المصرية والأوليا ذو الكرامات السنية ، وذلك مع جلوسه الشريف فى حلق العلم ومجالس التفسير بالجامع الأزهر ، فى الليالى المشرقة وزيارة الزوايا المشهورة بالأوليا ليلا ، داعيا ، وطلبه الدعا هناك ، وكلما زار مشهداً من المشاهد ومعبداً من المعابد ، يتصدق كثيراً ويعطى سراً

ورقة (٤٠)

وجهراً ، غنياً وفقيراً ، ويقرب أغناما على عادته فى الزيارات ، وموطن

(*) تكررت كلمة « المجيد » فحذفناها ، حتى يستقيم النص ، وربما كان تكرارها خطأ من الناسخ .

(**) تولى ولاية مصر من ٩٦٦ هـ/١٥٥٨ م وتوفى بمصر فى ٣ ذى الحجة ٩٦٧ هـ/ ٢٥ أغسطس ١٥٦٠ م .

الأدعية المستجابات ، استجلابا للدعوات الصالحات ، وصار ذلك دأبه كل حين ، يتعاهد زيارة الأوليا والصالحين ، بحيث أن ذلك لا يشغله عن النظر فى أحوال الرعايا ومصالح البرايا ، والنظر إليهم بعين المعدلة والإنصاف ، وكف أكف الجور والاعتساف ، وخلاص المظلوم من ظالمه ، والمحكوم عليه ظلماً من حاكمه ، وتعمير البلاد ، وتأمين العباد ، واستجلاب خواطر الحاضر والباد ، وقطع جادرة أهل الفساد والبغى والعناد . وأكرم الفقها والعلما وإحسان إلى المقترين[1] من الرعايا والضعفا ، وجذب قلوب الفلاحين والمزارعين ، كل ذلك والرعايا فى أيام دولته، فى ظل ظليل، وشراب سلسبيل، وعيشة راضية ليس لها مثيل ، وتم الحال على هذا المنوال ، إلى أن دخل أوان توزيع الأقاليم المصرية على العمال والملتزمين ، فوزع كل اقليم على من يليق به ، من غير خدمة مطلقا ، وكان من جملة من أنعم عليه من الكشاف

ظهر ورقة (٤٠)

وأكابر الملتزمين ، شخص يدعى الأمير حسن الحلوجى ، أعطاه ولاية اقليم الغربية وأخلع عليه قفطانا عظيما ، وحصل له بذلك غاية الحظ بهذه المرتبة والمحلة العلية ، وتوجه فى يوم من الأيام إما بقصد الفرجة أو السفر مسروراً مغبوطا ، وجلس بمكان يقال له سبيل البردان ولم يعلم أن المنية رايدته إلى ذلك المكان ، وهو على شاطىء بحر النيل المبارك ببولاق ، فلم يشعر إلا وقد هجم عليه جماعة من طايفة اللوند المفسدين ، والارازل المتمردين ، وسيوفهم مشهورة ، فهرب منهم إلى بعض السفن وما للنجاة فادركوه وضربوه بالسيوف ، فسقط من حلاوة الروح ، إلى البحر فتتبعوه بين المراكب ، وأكملوا موتته وأخرج من البحر مقتولا ، وجهز وغسل ودفن فى ترابه ، وحط إيابه ، فلما بلغ حضرة مولانا الوزير أيد الله تعالى

---

(١) لعلها المقفرين .

سعادته وأدام سيادته ، هذا الأمر الفظيع ، المستصعب الشنيع ، استشاط غيظا وغضباً وتأجج لهباً وبرز أمره الشريف باجهار المناداة لجميع العسكر

ورقة (٤١)

المنصور ، من يأكل علوفة مولانا السلطان ، نصره الله تعالى وأدام أيام دولته الزهرا وعامله بالطافه الخفية دنيا وأخرى ، من عثمانى إلى ألف من غير تخلف أحد منهم ، فامتثلوا الأمر العالى واجتمعوا فى محل يدعى قره ميدان ، سفل القلعة المنصورة، فأقام سنجقا سلطانيا، ولواء خاقانيا ، ونادى من كان طايعا لله سبحانه وتعالى ورسوله وولى أمره ، فليقف تحت هذا اللواء السلطانى ، ويدخل إلى ذلك الظل الممدود الخاقانى ، وكل من خالف ولم يوافق يعرف ما يحل به ، وكل من أبى وخان وسعى فى الأرض بالفساد حاربناه وقتلناه ، وبمحضر كل من أمراء الألوية الشريفة من المستحفظان بمصر المحمية ، فاجابوا بمزيد السمع والطاعة ، ووقفوا ولاذوا بذيل السنجق السلطانى ، وقالوا نحن عبيد مولانا صاحب السعادة ، ومن خالف وعاند قتلناه ، فلما تمسك منهم حضرة الوزير بذلك أخرج لهم خط همايون

ظهر ورقة (٤١)

الشريف المتقدم ذكره المتضمن لرفع الطلبة ، وانه كل من سعى فى أخذها أو تسبب فى طلبها ، أو بحيل من الحيل أو سبب من الأسباب ، يكون ساقطا مخرجا من ديوان الجند ، بعد التنكيل الشديد به والتمثيل والتحقير ، وقد ذكر لهم مولانا صاحب السعادة ، نصره الله تعالى ، أن من البلوكات طايفة مفترون أشقيا ، يصدر منهم فى كل حين ، مثل هذا الفساد الشنيع ، من التجرى على قتل الأمراء وأرباب الدولة ، وأكابر المملكة ونحو ذلك ، فان كنتم ترومون الصفح عنكم فيما فعلتموه سابقا ، والعفو عن تلك الأمور

المخالفة فتقبضوا عليهم، وتسلموهم لنا لنخرج من حقهم ، فقالوا نعم، وأجابوا بمزيد العز والطاعة ، وقبضوا على كل من كان معروفاً بذلك ممن كان حاضرا ، وأسلموهم لحضرة مولانا الوزير ، نصره الله تعالى ، وحلفوا جميعاً يمينـــا واحدة ، وأشهدوا على أنفسهم ، أنهم من الآن لا يمشون فى طريق شىء يقال له الطلبة ، ولا يطلبونها ، ولا يتفوهون بذلك ، ولا يذكرونه على ألسنتهم ، ولا يقرون عليها ، وكل

ورقة (٤٢)

من عاند وخالف يكونوا عليه ويقبضون عليه ويحضرونه لحضرة مولانا الوزير ، وصاروا كل من عرفوا منه ذلك ، يفعلون به ذلك ويكبسون عليه ، ويحضرونه فيخرج من حقه ، وقد سكنت الفتنة بهذا الموجب ، وحصل للرعايا الراحة العظمى، واليسار بعد العسر ، كذلك لفلاحى الأراضى والمزارعين الذين هم كانوا فى غمرتهم يعمهون ، فحصل لهم غاية الإنتعاش ، واتسعوا غاية الإتساع ، بعد أن كان الواحد منهم لا يملك كراع ، بل ولا ريش دجاجة ، ولا قطعة من كماجة ، فصار عندهم الأوز والدجاج والأبقار والأغنام ، وغاية الأنعام ، آمنون مطمئنون فى ظل الدولة الظليل. نايمون فى اغيظ مقيل ، الكبير منهم لا يتحول على الصغير ، ولا يأخذ أحَـدٌ من أحد شيئاً من الباعة إلا بالشىء الكثير ، وصار الذئب والغنم فى مقام واحد ومرتبة واحدة(*) ومع ذلك فكانت طايفة من الأشقيا الأرازل الأغبيا فى أسنانهم ، طعم حلاوة الطلبة ، ولم يصبروا على الصبر ، فصاروا يصابرون عليها ، ويحتالون بأنواع الحيل ، على الكشّـاف فى أخذها ، ويحسن له بعضهم بعضا فى التحيُّـل على ذلك ، ويعبرون على الكشاف بسين ساسان على مطاوعتهم فى ذلك .

(*) حذف هذا الجزء وحتى منتصف وجه ورقة ٤٤ لخروجه عن الموضوع .

ظهر ورقة (٤٤)

والكشاف يمتنعون عن ذلك أشد امتناع ، خوفاً على نفوسهم وأرواحهم فقدر الله سبحانه وتعالى بعد مدة يسيرة أن شخصاً يدعى (١) ، أبرز حكماً شريفاً عند رجوعه من سفر الشام ، من جانب السردار الأعظم بمنصب دوادارية الغربية(*) ، وأنعم عليه بذلك من حضرة مولانا صاحب السعادة نصره الله تعالى ، وألبسه قفطاناً ، ودفع إليه حكماً شريفاً بذلك ، خطاباً للحاكم الشرعى بها ، هو مولانا فخر قضاة الإسلام ، أولى ولاة الأنام ، رافع شرايع الأحكام ، خادم شريعة النبى عليه الصلاة والسلام ، مولانا إسماعيل أفندى الرومى الحنفى ، دامت فضايله ، وقدوة الأكابر حاوى المحامد والمفاخر ، الجناب العالى ، الأمير محمد الحلوجى ، كاشف ولاية الغربية أعز الله تعالى جنابه ، بتمكينه من ذلك ، فلما ورد الدوادار المذكور بالحكم المذكور ، وقرى بالمحكمة الكبرى بالمحلة ، بمحضر من الأمير الكاشف محمد الحلوجى ، أجابا بمزيد الامتثال ، وألبس الأمير الكاشف الدوادار المذكور قفطاناً

ورقة (٤٥)

على العادة ، وأمر أن ينادى فى أسواق المحلة وشوارعها بذلك ، فمرَّ وهو لابس القفطان ، على بعض بيوت القهوات ، وكان بها جماعة من الأجناد ، فلما نظروه كذلك هجموا عليه والسيوف مشهورة بأيديهم ، وأرادوا قتله ، وتكلموا بكلام قبيح جداً ، وقالوا له متى لبست هذا القفطان ، أو تصرفت فى هذا المنصب قطعناك ، فمن خوفه على نفسه من القتل ، قلع القفطان ، وأقبل راجعاً ، إلى أن دخل المحلة الشريفة ، والكاشف مقيم بها فدفع القفطان

(١) بياض فى المخطوط .

(*) الدوادارية كانت فى اصطلاح ذلك العصر تعنى السكرتارية حيث أن وظيفة الدوادار هى حمل دواة الأمير أو السلطان ويقوم بابلاغ الرسائل عنه ، وتقديم القصص والشكاوى إليه .

إليهما بعد أن أعلمهما بما وقع من طايفة الجند ، وإذ بطايفة من الجند ، دخلوا إلى المحلة الشريفة ، وحصل منهم سباً شنيعاً فى حق الكاشف لاينبغى ذكرها ، وقالوا فى أثناء ذلك ، ايش هذا الذى عملته داودارا ، هذا مايستحق أن يكون مشداً فى أقل القرى ، فقال الأمير الكاشف ، أنا ما أعطيته هذا المنصب ، وإنما مكنه منه حضرة مولانا صاحب السعادة ، مرتباً على إعطاء السردار الأعظم فتزايد

ظهر ورقة (٤٥)

كل منهم فى السفه ، وقلة الأدب الزايد ، وتم الأمر على المنع .

فكانت هذه الفعلة منبهة وداعية إلى فعل ماسنذكره ، من كتابتهم لبعضهم بعضاً من ساير الأقاليم ، واستدعائهم لجميع طوايفهم المكتتبين بالبلاد ، الأسباهية من البلوكات الثلاث ، من إقليم المنصورة والدقهلية والشرقية والمنوفية ، والبحيرة ، والقليوبية من ساير الجند المكتوبين ، أن يجتمعوا فى يوم الجمعة المبارك ، بمقام مولانا القطب الربانى والعارف الصمدانى . سيدى أحمد البدوى ، نفع الله المسلمين ببركاته بطندتا(*) فكان اجتماعهم فى أوايل شهر الله القعدة الحرام سنة سبع عشرة وألف(١) فاجتمع بالمقام المذكور، ساير الجند من الأقاليم المذكورة ، وتحالفوا داخل المقام الشريف تحلفهم المعتاد ، وتعاهدوا وتعاقدوا وأوثقوا الإيمان ، على أمور يفعلونها ، وأن يكونوا فى ذلك على قلب رجل واحد ، فى العسر واليسر والموت والحياة ، وفى جميع مافى نيتهم أن يفعلوه ، وأن لايتخلا أحد منهم

ورقة (٤٦)

عن الآخر ، ومن جملة ماتعاقدوا عليه ، ماجعلوه سلماً لفعلهم ، طلب بعض

(*) طنطا

(١) أوائل فبراير ١٦٠٩ م .

جماعة من أكابر الدولة ، ليفعلوا بهم ، مايحبوه ويختاروه من قتل وغيره ، وأخذ الطلبة التي هي معظم هذه الفتنة وسببها أولا ، وتوارد أخبارهم بذلك من البغاة وغيرهم واشتهر عنهم ذلك وشاع ، وملأ البقاع واليفاع ، وأعجب ماحكى أن بعض الجند المقيمين بالمنوفية ، هجموا على الكاشف بالإقليم ، هو فخر الأكابر سليمان بن درغوت ، وطلبوا منه كتابة وصولات الطلبة وتعللوا بأنهم كانوا فى السفر السلطانى ، وأن الذى كان معهم نفذ وراح ، وقد باعوا ماعندهم من العدد والآلة ، ولم يبق معهم شىء يباع ، وقد ركبتهم الديون ، فذكروا أن لهم ثمانيـة عشر خدمة ، وأنه لابد أن يطلقهـا لهم ، فاستمهلهم ثلاثة أيام ، خوفاً من شرهم وأعرض الواقعة على حضرة مولانا صاحب السعادة بالتفصيل ، والتمس مايبرز به أمره الشريف من ذلك ، على يد كتخدايه المقيم

ظهر ورقة (٤٦)

بمصر ، فلما وقف مولانا الوزير المشار إليه على العرض المذكور ، استشاط غضباً زائداً ، وصمم على منع ذلك المنع الكلى ، ومن أعان على ذلك سراً أو جهراً ، وفعله كان بروحه ، فلما تبين لهم حقيقة المنع ، من أمر الطلبة ، وماطلبوه من الأمرا ، فاجتمعوا ومعهم جميع أتباعهم ولفيفهم ، وطلبوا أطلابهم وأخذوا معهم ، من وجدوه من طايفتهم من أهل الشقاوة ، المعدين لخراب البلاد ، وإيذا العباد ، من البطالة الذين لاعلوفة لهم ، وما انضم إليهم من أهالى الفسـاد ، وكتبوا باتفاقـهم مكتوباً على حسب مرادهم ، لحضرة مولانا الوزير محمـد ، سلمه الله تعالى ، وحمـاه من كل سوء ، ونصبوا منهم أربع سناجق لـكل بلوك سنجقاً ، والأغوات الذين لاعلوفة لهم سنجقاً ، على حدتهم ورتبوا جموعهم ونشروا أعلامهم ، وجعلوا لهم كتاباً ، اضبط أسمائهم ، وعملوا يوقلمة ، وتجمعوا وجمعوا وهم بآلات الحرب والقتال ، مستعدين للطعن والنزال

ورقة (٤٧)

وقد صاروا لايمرون على قرية إلا ودمّروها ، ولاناحية إلاوأخربوها ، وخرجوا عن الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، ودهكوا زراعات الفلاحين بحوافر خيولهم ، خصوصاً مايتعلق بالأمنا والملتزمين ، وذلك خلا مايجدونه من الأغنام والسوايم ، وأنواع المشارب والمطاعم ، مما لايجوز فى ملة من الملل، ولايردعهم بمعنى ذلك قول ولاعمل ، ولما رأى الأمنا ذلك ، وعظم مصيبة ماهنالك فزعوا إلى الديوان العالى ، دامت له المعالى وطلبوا مبارزتهم ، وقالوا نحن فينا الكفاءة لحربهم وخزيهم إن شاء الله تعالى ، هذا والطايفة المذكورة لايزدادون إلا تمرداً وعناداً وعتواً وفساداً ، مستمرين على ضلالهم وغيهم وإضلالهم . وأخذهم ونهبهم ورعبهم ورهبهم ، ومن جملة عكوساتهم وأمرهم ونكوشاتهم ، أنهم نزلوا بمكان يقال له منى جعفر بشرقية بلبيس فأقاموا فيه وهو قريب من مكان يقال له تل

ظهر ورقة (٤٧)

اليهودية فأقاموا به أولا ، وصار كل يوم يمر ، وهم فى زيادة داعية من الفساد والشر والعناد ، فلما أن تقرر خروجهم واتضح وظهر وفشى واشتهر ، وطرق خبرهم سمع مولانا الوزير . نصره الله تعالى ، فأمر منادياً ينادى لجميع من بمصر من العساكر المطيعين للسلطنة الشريفة ، من أمراء الألوية المنيفة والجركسية والأمرا والمتفرقة والجاووشية، وماوجد من الأسباهية المقيمين بالديار المصرية والعزب والينكجرية ، وغيرهم ممن يأكلون العلوفات الخنكارية، من عثمانى إلى أكثر ، وساير الأمرا من الأقاليم بآلات حربهم وعَدَدِهم وعُدَدِهم ، ومن يعتمد بهم فى إصابة الرأى ، وحسن التدبير والسياسة ، فلما حضروا نصب ديواناً طنانا ، فى خصوص تلك الطايفة الفاجرة الخارجة المارقة المنافقة ، وطلبهم القتال ، وخروجهم وعدم الامتثال ، وقد فوّض

الوزير أمره إلى الله تعالى مستشيراً فى سواله

ورقة (٤٨)

وأرى من اعتمد عليه من أمراء الألوية صورة نقش ضميره فى مرآة مقالة عملا بمن قال ...

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر فالحـــق لا يخفى على رأيين
المرء مرآة تريه وجـــهه ويرى قفاه بجمع مرآتين(*)

قال الناقل فنهم من أشار ، بأن الرأى المتين والمنهج المبين ، أخذ خواطرهم وتطييب نفوسهم بما يطلبونه، ويرغبون إليه ويرومونه ، إلى أن تنطفى نايرة هذه الفتن ، ويندمل جرح هذه المحن ، فإن الأمر ربما يتسع ولا يمكن أن يلتيم ، ويتسع الخرق ويشتد الحرق ، ويترتب على ذلك أمور صعبة المرام. بعيدة الالتيام ، من هلاك الأنفس والأموال ، ودهك الرعايا والرجال ، وإذا توجه كل أحد إلى محله ، يمكن أن يؤخذ منهم المفسد بالتدبير ، ولا ينبؤك مثل خبير ، فلم يلتفت مولانا الوزير إلى هذه الإشارة ، ولا أقرّ على هذه العبارة ، وقال بعضهم بل نقاتلهم إلى أن يحكم

ظهر ورقة (٥٠)

الله سبحانه وتعالى بيننا وبينهم إما بغلبة أو غيرها ، وذلك كلام الناصح للسلطنة الشريفة ، الباذل مهجته ونفسه فى مرضاتها المنيفة ، والناصح لله ولرسوله ولولى الأمر والمسلمين ، وذوى الرأى والتمكين ، والعقل الرصين ، حضرة فخر الأمرا ، وذخر الفقرا ، زين الدين صالح أمثل أمرا الألوية الشريفة ، بمحروسة

(*) حذفنا بقية هـذه الورقة وحتى منتصف وجه ورقة ٥٠ لخروجه عن موضوع النص .

مصر حفظه الله تعالى وأعانه على فعل الخيرات ، ودفع المنكرات فقال من المحال أن نرجع عنهم ، إلا بالقتال والحرب والنزال ، إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم بمشيئته ، فقبل حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى هذا الكلام ، من الأمير صالح ، وأجابه إلى ذلك ، جميع الأمرا وعساكر المسلمين ، فأقام حضرة مولانا الوزير نصر الله به الدين، فخر الأمرا الكرام ، عمدة الكبراء الفخام ، ذو الجد والتشمير والاهتمام ، الأمير مصطفى مير اللوا الشريف السلطانى سردارا على العساكر الشريفة ، لما علم وتحقق أنه أولى بذلك من غيره ، ولحق وعين معه شدا لعضده ، ودفعا لسآمته وملالته ، مولانا فخر الأماجد والأكابر ، حاوى المحامد والمفاخر ، الجناب العالى ،

ورقة (٥١)

الجزء السادس

والكوكب المنير المتعالى ، الأمير مصطفى كتخداء الطايفة الجاووشية بالديار المصرية ، وساير الأمنا والملتزمين ، وانعقدا الإجماع على ذلك ،وذلك بعد أن برز أمره الشريف بيورلدى منيف للطايفة المذكورة . على يد مولانا فخر العلماء، وعمدة الأفاضل النبلا ، الأكمل الأفضل ، الأورع والأعدل ، مولانا محمد أفندى ، الشهير بالتى برمق ، أدام الله تعالى فضله وكذلك ، اغاة التوفكجيان ، على أغا ، من مضمونه الوعظ السديد ، والتحذير الأكيد ، من غضب الله تعالى وغضب رسوله وغضب السلطان ، وإقلاعهم عما نووه وقصدوه وما عليه من البغى والعناد الذى اعتمدوه ، وتزيين الشيطان لهم ، وتحسين ذلك لهم وغرورهم ، وعدم انقيادهم ، وشقهم العصا ، وخروجهم من غير طايل ، ولا تحصيل حاصل ، وأن يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتوبون ويقلعون وينيبون ،فإن فعلوا ذلك بصدق واعتقاد وحسن اعتقاد سوحوا بما صدر منهم ، وعطفت مراحمنا عليهم وغفرنا لهم

الذنوب السالفة ، والآتية ، وأنعمنا عليهم بما تقرّ به أعينهم ، من الترقيات الجسيمة ، والانعامات العميمة ، وباؤوا إلى ظل ظليل ، وأحسن مقيل ، وإكرام وتبجيل ، مع كثير من هذه النصايح ، فتوجه المذكورون إليهم ، وقرىء البيورلدى الشريف عليهم ، مع ما أورد عليهم مولانا محمد أفندى المشار إليه، من نصايح وعظات، تلـيّن القلوب ، وتقرّب القاصى من الشمال إلى الجنوب ، فكان معناها ومضمون فحواها، هوأنه ليس بخاف على العاقل اللبيب ، الفطن الأريب ، أن الاتسام بصفة العصيان ، والخروج عن طاعة سلطان الزمان ، من سمات الغرور . وصفات كل غبى مغرور، مخالفة أوامر السلطان البسيطة ، الذى أوامره فى أطباق الآفاق محيطة صاحب العسكر الجرار ، كالجراد المنتشر والجنود الغالبة ، والجيوش المنصورة التى لاتعدّ ولا تنحصر ، ولقد كنتم غارقين فى نعم السلطنة فى ألذ عيش، وأنعم بال ، وأطيب حال ، فصرتم كما قال الله تعالى « وضرب الله مثلا قرية كانت

ورقة (٥٢)

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » . فمثل هذه الأفاعيل الواقعة منكم لاتصدر من عاقل ، ولا يتجرأ عليها بالاقدام الا طاغ غافل ، ولو تحصن بالمعاقل ، ولكن نحن نبريكم أن يقع منكم شىء من هذه الوقايع ، أو يصدر عنكم مثل هذه الشنايع ، وقد قرن الله سبحان وتعالى فى كتابة المجيد الأمر بطاعة وطاعة رسوله ، طاعة ولاة الأمور ، فقال تعالى مما لايخفى عنكم ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، وأمر الشارع صـلى الله عليه وسلم بقتل ممن خلع ربقة الطاعة ، وخالف الأمة والجماعة ، فقال عليه الصلاة والسلام ، وأمره لاحق بأمر القرآن ،« من أراد

أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جمع فاضربوه بالسيف ، كاينا من كان ،وحيث كان الأمر كذلك ، فاللايق بكم التبرى عن هذه الفتن ، والتنصل من صدور هذه الشنايع ماظهر منها وما بطن ، ومن الظاهر المعلوم أن هذه الفعايل لم تصدر من عاقل .

ظهر ورقة (٥٢)

بل من غوغاء الاتباع الأشقياء بمن أغواهم الشيطان ، واستخفهم البغى والطغيان، فإذا فعلتم ذلك تفوزوا بالحظ الأوفر، واللحظ السلطانى الأكبر، الذى هو أعزّ من الكبريت الأحمر ، وأن أبيتم ونأيتم ، وخالفتم وعصيتم فهذا ظن واهى ، ورأى متناه فى الغباوة غاية التناهى ، والأمر حينئذ عظيم، والخطر جسيم ، والله هو الغفور الرحيم(*)

ظهر ورقة (٦٠)

ولما سمعوا ذلك ، وسخن فى آذانهم ، ولم يتعظوا به ، وبما ضرب من الأمثال والآيات والأحاديث الواردة فى معنى ذلك . وخالفوا وعاندوا ، وعتوا واستكبروا . واستمروا على الفساد والطغيان ، فتوجه المشار إليهما وفاوضا حضرة مولانا الوزير بذلك ، فانعقد الإجماع على حربهم وقتالهم، بحضرة مولانا صاحب السعادة ، ونزل السردار المشار إليه ، من الديوان الشريف من ساعته ، ونصب أوطاقه داخل قرة ميدان ، وأجهر النداء بمصر لجميع العسكر ، بأن يأتوا بأسلحتهم وآلات حربهم ، وأن يضربوا خيامهم عند السردار ، وكل من تخلف كان معدودا من الأشقيا ، فأقام جميع الأمرا والصناجق ، ونصبوا بخيمهم عند مخيم السردار، وباتوا عنده فى قرة ميدان،

(*) حذفنا بقية الورقة (٥٢) وحتى السطر الأول من ظهر ورقة (٦٠) لأنه عبارة عن أمثال للتدليل على واقعة الحال واستطراد وخروج عن موضوع النص .

وعين للحرس مولانا الجناب العالى ، والكوكب المنير فى أفق المعالى ، الأمير صالح بيك ، والأمير الكبير ، ذى الرأى المنير ، يوسف الغطاس ومعهما بعض سناجق وجانب من العسكر المنصور إلى أن نزلوا إلى الريدانية وباتوا

ورقة (٦١)

بها ، وربطوا الطرقات وتوجه فخر الأمرا ، الشجاع الشهير ، الأمير على ابن الخبير ، ومن معه من عربانه وأهل تحدثه ، فأخذ ناحية جزيرة الفيل [1] ، وشبرا وتلك الطرقات ، وباتوا بالريدانية ، ثم ورد الخبر بأن طايفة من الأشقيا ، هجموا على الأمير يوسف والأمير قانصوه ومن معه ، وذلك بعد العشا الأخــــرة من الليل ، أمر صاحب الدولة والسعادة ، أيده الله تعالى ونصره عليهم باجهار الندا ، فى سائر شوارع مصر ليلا لسائر العسكر ، أن لا أحد يتخلف عن الأمير يوسف ويثبت عنده بآلات حربه وعدته ، فتوجه غالب العسكر فى تلك الساعة ، ولم يتأخر إلا القليل عند السردار المشار إليه ، وذكر أنه لم يكن لـما ذكر من مجى الطايفة المخذولة صحة ، وإنما كان ذلك من بعض الأوهام والتوهمات ، وذكر أنهم لـما عزموا على ذلك فى تلك الليلة ، فأرسل الله تعالى ريحا عظيمة ، وسحابا ثقيلا ، كادت منها أن تمور الجبال ، وحصل للناس بسبب ذلك غت شديد ، ووحل عظيم ، ثم انكشف ذلك عند طلوع الفجر ، وصارت

ظهر ورقـة (٦١)

السما صاحية مصحية ، بمنّ الله ورحمته ، وكفى الله تعالى شرهم وأصبحوا على ذلك ، رجفت مصر غاية الارجاف ، وعمل يوقلمة عامة ، وضبطوا من وجد

---

(١) كانت إحدي النواحي التابعة للجيزة أنذاك .

حين ذلك ، من أسباهية البلوكات الثلاث ، فمن وجد وكتب اسمه ، كان ذلك سببا لبقاء نفسه ومهجته ، ومن لم يوجد فهو من الأشقيا ، وذلك كله قبل أن يرسل لهم حضرة الوزير بيوريلدى شريف يعظمهم فيه ويحذّرهم على يد من ذكر فيه ، ثم بعد ذلك كله واستمرارهم على عنادهم وكثرت عليهم داعية الفساد ، فطغوا وبغوا وبطروا ، وجحدوا النعمة، ونفخ الشيطان فى آنافهم، وقد ازدادوا بغيا وعدوانا ، وشوفه حضرة مولانا الوزير عن قبايح أفعالهم ، واستمرارهم على ماهم عليه من العناد وكان برز أمره الشريف أولا بأن جميع من يأكل علوفة السلطنة الشريفة ، يجهز نفسه ، ويتسلح ويبيت عند السردار المشار إليه ، وذهبوا بلامة حربهم وأسلحتهم ، وأقاموا ليلتهم وأصبح مولانا السردار المشار إليه صبيحة يوم الاربعا المبارك

ورقة (٦٢)

سابع ذى القعدة الحرام سنة١٠١٧[1]، هو فخر الأمرا الكرام كبير الكبراء الفخام الأمير يوسف بيك ، وأمير عربان هوارة بأقليم دجرجا بالوجه القبلى الشهير بالقطاس لا زال محروسا برب الناس ، وفخر الأمرا الكرام ، عمدتى الكبراء الفخام ، الأميرين الكبيرين المكرمين المبجلين ، الأمير قانصوه بيك ، والأمير محمد بيك الشهير بجبجى . وفخر الأمراء الكرام ، عمدة الكبرا الفخام ، ذو القدر والاحترام . والعز والاحتشام . صاحب الرأى الناجح، الأمير زين الدين صالح بيك ، أمير اللوا الشريف ، والمحمل المنيف ، وفخر الأكابر ، مستجمع المحامد والمفاخر ، شيخ عربان الجيزة ، نجل الأمرا العزيزة . ذو الفضايل العزيزة . شعر

متفرع من دوحـــة عربية هى والشجاعة جآنا من عنصر
مثل الحسام جلا الصياقل متنه حتى ترقرق فيـه ما الجوهر

---

(١) ١٢ فبراير ١٦٠٩م

الأمير الكبير ، على بن الخبير ، وصحبهم من العساكر المنصورة ، مايسد عين الشمس فى كبد السما ، ولم يبق بمصر إلا طفل أو شيخ هرم ونحو ذلك ، وبرزوا بالعاديات ضبحا والموريات قدحا فى كتايب أمثال الجبال وعد

ظهر ورقة (٦٢)

الحصى والرمال ، متسلحين بأنواع العَدَدِ والعُدَدِ وآلات الحرب الزرَدَ يدكون الأرض دكا ، ويصكون أديم الأرض صكا ، واختلطت الأصوات بصهول الخيول ، وزعقت الزمور والطبول ، ومضوا سايقين وإلى الأجر والثواب سابقين ، وللنصر والظفر مراقبين واشعلوا نار الحرب وتهيأوا للطعن والضرب ، فأصموا الآذان بأصوات كالصواعق ، تهلك بالصعق ، أو كصيب من السما . فيه ظلمات ورعد وبرق ، وقامت القيمة وما آن أوانها ، ووقعت الواقعة وماحان زمانها ، ولكن ظهر للعيون عيانها ، وبهر البصاير برهانها ، وقد اشتاقوا إلى التَّصاف ، وتهيجوا لملاقات المصاف وهزوا المناكب والأعطاف ، واستعملوا آلات السلاح ، وتقلدوا بالبيض والصِّفاح ، ونشرت الإعلام والرايات ، ودقت الطبول والكاسات وزلزلت الأرض زلزالها ، وكادت السما أن تمور بأبطالها . بيت

حملوا عِتاق الأسد تحت ضلوعهم ولوَوا عمايمهم على الأقمار

ورقة (٦٣)

وتقلدوا يوم الوغى بصوارم أمضى إذا انتصبت من الأقدار
قوم إذا لبسوا الدروع حسبتهم كسحاب بغيث ممطـــر بنهار
إن خوفوك رأيت كل كريهة أو أمّنوك لقيت دار قــرار

ومعهم من المدافع الكبار والضربزانات المعدة لقطع الأعمار وهتك الأستار ، مايهدّ الجبال الرواسى ، ويحز الأعناق والنواصى تجرهم الخيول العـراب ،

محفوفين بعساكر تحجب السحاب ، وتوجهوا إلى الريدانية ، وبقيت أوطاقه الشريف بها ، وكذلك جميع من معه من الأمراء والعسكر ، وكان ذلك يوم الأربعا سابع شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٠١٧ . وكان يوما مشهودا ، حضره جميع أكابر مصر وعلمايها وأماجدها وفضلايها وقضاتها وقرائها حتى النساء والصبيان والحفدة والغلمان ، وشاهدوا ذلك الموكب العظيم ، الذى يقارب فى العظمة يوم الزينة ، واستمر حضرة السردار بالريدانية . إلى أن تكامل العسكر وتوجه من يومه ذلك إلى بركة الحاج الشريف[1] بجميع العساكر

ظهر ورقة (٦٣)

ونصب مخيمه الشريف هناك تجاه الطايفة المخذولة ، لما انتقلوا من محطتهم الأولى ، وفى يوم الخميس ثامن الشهر المذكور[2] برز أمر حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى باجهار النداء ، لجميع السوقة والمتسببين والقهوجية وأرباب الموازين ، بأن يذهبوا إلى محل السردار المشار إليه ، ببضايعهم وينصبون صيوانا عظيما للبيع والشراء على العسكر المنصور ، وأن يسيروا مع السردار حيث ماسار ، فتوجهوا كلهم ، وجعلوا هناك سوقا عجاجا ، هذا وقد ملأت العساكر سهل الأرض ووعرها ، وثار العجاج وملأ الفجاج ، وبرز أيضا أمر حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، لجميع طوايف العربان الشجعان ، من سائر الأقاليم والجهات المشهورين بالفروسية والشجاعة ، بأن يحضروا جميعا إلى السردار بحيث أنهم لا يختلطون بالعسكر ، وأن يكونوا خلف

---

(١) من النواحى القديمة ، وعرفت ببركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج فى كل سنة أو نزولهم بها عند العودة ، وهى الآن إحدى نواحى مركز شبين القناطر ، بمحافظة القليوبية .

(٢) ١٣ فبراير ١٦٠٩م .

الطايفة المخذولة،وفى وجوههم وقدامهم وأمامهم ويحاصرونهم ويضيقوا عليهم ، لحضر كل من شيخ العربان قاهر الفرسان حسن

ورقـة (٦٤)

الدهين ، وشيخ العرب منتهى الطلب محمد البكريجى ، ونخر الأماجد حاوى المحامد ، الأمير حماد بن فخر الأمراء الأمير مقلد أمير اللوا الشريف بمصر المحروسة ، وشيخ العرب المجيد ، ذو الرأى السديد ، أمثل الفرسان وشيخ مشايخ العربان شيخ العرب عبد العزيز بن الفاضل الكامل شيخ العرب صيام العايدى ، وشيخ العرب المشهور ، والشجاع المخبور ، عمران بن أبى عويضة وسائر طوايف العربان المخبورين الشجعان ، من كل قطر ومكان ، وكل منهم فى جيش كثيف من عربان،ولفيف كالسيل المنهمر ، والجراد المنتشر ، رجالا وفرسانا زرافات وعقبانا باحقاف وحوافر ، وسيوف بواتر ، كالأسود الكواسر كما قيل . شعر :

قوم بيت على الحشايا غيرهم	ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح فى الدما قناتهم	فكأنهم سفاين فى أبحـــر
لا تأكل السرحان شلو ظبيهم	مما عليه من القنا المتكسر

نثر : فارهفوا البيض والصفاح ،وثقفوا متون العسالة الرماح ،وقد داروا حول الاشقيا دوران الخاتم بالأصبع

ظهر ورقة (٦٤)

والسوار بالمعصم ، وأهل التقوى بأهل الفجور ، والنور بالديجور ، ورغموا أنافهم ، ونفروا الآفهم ، وردوا إلى المئين الآفهم ، ومد النقع على رءوسهم أعظم رواق ، وضرب العثير فى الجو أوطاق سد به حجب الآفاق ، ونقصت

من طباق السبع أرضين طبقة . وزادت فى طباق السموات واحدة من الطباق وضيقوا عليهم المسالك ، وفسيح الممالك ، والفلوات والفضاء ، ونزلوا عليهم نزول مبرم القضا ، وقطعوا إحساسهم ، وأخذوا أنفاسهم ، وقصدوهم من كل جهة خايضين غمار الموت ، وهجموا عليهم هجوم الليـــل ، واندفقوا ولا اندفاق الغيث ، ولما أن رأى الأشقيا العساكر المنصورة راكبين قفاهم ، ومشايخ العربان خلفهم ، كفاهم ولم يعلموا البلا من أين أتاهم ، وكابدوا أحوال الموت وشارفوا أهوال الموت وأخذهم الطيش من كثرة الجيش ، وضاقت عليهم الأرض ، ونغص لهم العيش ، وجبنوا عن القتال ، وآل أمرهم إلى الانحلال والانخزال ، بيت .

وضاقت الأرض حتى أن هاربهم إذا رأى كل شيء ظنه رجـــلا

ورقة (٦٥)

وقيل أيضاً ، شعر :

أبى الله إلا أن يمـــوتوا أذلة وَفَرّاً وسيّان المنيـــة والفرُّ
ولو صـــبروا ماتوا كراماً أعزة ولكن عند الحرب خانهم الصبرُ
نزوعهم الأحلام فى ساعة الكرى ويقرعهم خوفاً إذا استيقظوا الفجرُ
طووا مكرهُم تحت الضلوع خيانة فحاق بهم خبث الطوية والمكرُ
نسيهم أوطانهـــم وتذكروا وحق لأوطان إلى أهلها النكرُ
لقد ركضت خيل المنايا فأوجفت بهم ولهم فيهـــن لقى منهم نكرُ

وقال لسان الحال فيهم ، شعر :

ولزهم القتـــال إلى طــــراد أحدٌ سـلاحهم منه الفـرار

مضموا متسابق الأعضا منـه بأرجلهم لارءوسهم عثـار

يرون الموت قداماً وخلفـــا فيختارون والموت اضطرار

نثر :أوقع الله الرعب فى قلوبهم ، وصاروا حيارى لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، وحصلت لهم السكتة ، ودهمتهم البهتة ، حتى لقد حكى عنهم أن الشخص منهم كان فى فمـه بعض بندق رصاص ، فلما شاهد ذلك الهـول الفظيع والأمر القطيع . تساقط البندق من فِيه وهو لا يشعر ، وقد نكست بيارقهم ، وانعكست .

ظهر ورقة (٦٥)

ألويتهم ، وصار الواحد منهم لا يحقق النظر إلى صاحبه ، وهو جالس بجانبه وتراهم سكارى وماهم بسكارى ، وقد برز لهم فخر الأكابر ، حاوى المحامد والمفاخر الأسد الشجاع والفارس المطاع ، ليث العرين بأساً ، وأقواهم مراساً ، الواثق برب البرية ، الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية من أمامهم فى كبكبة عظيمة، وتلاه الفارس المشهور ، والشجاع المخبور، صاحب الأقوال والأفعال والأيادى الطايلة فى الحرب والنزال ، الأمير الممجد الدالى محمد جرجس بيكى ، والفارس الشجاع الشديد ، والأسد الهصور الصنديد ، الأمير على بن الخبير ، ومعهما من طايفة العربان والأسود والعقبان مايملأ الأرض بالطول والعرض أمماً لا تحصى ، وشجعان لا تستقصى ، فصار بعضهم ينسحب ، وبعضهم يلحق بالعسكر الساطانى ، ثم غارت الخيول والعساكر على من بقى منهم ، لما تسحّب غالبهم ، بل وظهر من الجميع كبكبة يريدون الفرار ، ويولون الأدبار ، وكان منهم من هرب وفات منهم ،من فاته الطلب، وصار باقيهم طعمة

ورقة (٦٦)

للسيوف والسباع ، ونهب مامعهم من السلاح والكراع ، وذهبوا شذر مذر ، وتفوق بعضهم أيدى سبأ لم يظهر لهم حسٌ ولا خبر ، ومالت العساكر المنصورة على باقيهم كل الميل ، وأعدموهم القوة والحيل ، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ، وقطعوا من رءوسهم رءوسا كثيرة ، وطرحت جثث القتلى فى الأراضى والبقاع والأودية والتلاع ، بعد ما أكلت أشلاءهم الضباع والسباع ، ومنهم من ألقى نفسه فى الماء وانقلب ، والبعض من أخذ فى الهرب ، وبعضهم أتى ذليلا حقيراً ، وطلب الأمان وأن لا يموت عاصياً ، حيث لا ملجأ له ولا ناجياً وقد طلب جمع مما بقى منهم الأمان ، وتابوا من البغى والعصيان ، وذلوا وقالوا نحن عبيد مولانا السلطان ، عطف عليهم حضرة السردار وأعطاهم الأمان خيراً منه لهم ، بعد المذلة والإذعان ، وصار كل من يعرف خيمته من البلوكات ، يأتى له ذليلا حقيراً مهاناً أسيراً ، بعد أن ينزع ماعليه من سلاح وعدة وآلات حربهم المستعدة ، ويجعلون محارمهم فى رءوسهم ورقابهم ، ويأتون سعياً ويكشفون رءوسهم وأرجلهم حفياً .

ظهر ورقة (٦٦)

ويمرغون وجوههم على التراب ، راغمين تلك الآناف التى كانت تحكى فى عظمتها السحاب ، وصار السردار كل من ورد عليه منهم يسلمه إلى إغاته ، ويشهد عليه أنه إذا ورد إلى مصر وتمثل بين يدى الوزير يسلمه إليه ، من كبير أو صغير ، ثم عاد حضرة السردار المذكور ، وقد قطعت منهم رءوس ورفعت على الأسنة العوال والرماح الطوال ، وسيقت بين يديه الخيول المقلوعة والأسلاب المنزوعة ، والجماجم المقطوعة ، فحمد الله تعالى شكراً ، وتضرع إليه سراً وجهراً ، من حوله وقوته واعترف أن ذلك بحول الله وإرادته ، ولقد قيل شعر :

وإذا بغى باغ عليك وحزته وأقتله بالمعروف لا بالمنكر
فإذا تكرر بغيه يأتيه من قبل الإله جزاه فى المحشر

ذكر وضوح هذه الفتنة ورفع الالتباس :

مما نقلناه من أفواه الثقاة من الناس ، وذلك أنه لما سار حضرة السردار ، وصحبته العساكر ، وأمامه المدافع ، وخلف المدافع طايفة الينكجرية والعزب .

ورقة (٦٧)

وعلى ميمنته الأمير يوسف الغطاس ، والأمير الكبير قانصوه ، وعلى يساره الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية ، ومعه من الفوارس كل أسد عابس أقواهم بأساً وأشدهم مراساً ، الفارس الهمام ، والبطل المقدام ، الأمير أحمد ابن الفارس المشهور ، والأسد المصور الأمير محمد الدمرداش ، فلم يزالوا سايرين ، إلى أن وصلوا إلى ناحية المطرية ، فتقدمهم الأمير مصطفى كتخدا الجاروشية ، ومعه الطايفة التي تلوز به ، وأرسل شخص يدعى مصطفى أخو خباجى سليمان ، وقزلباش على مملوك ترياقى درويش ، والأمير أحمد الدمرداش ، ليكشفوا له خبر الطايفة المخذولة وماهم عليه ، فساروا فوجدوهم نازلين على قبة العجمى ومرياقوس على شاطىء الماء ، تجاه بركة الحاج الشريف - وعادوا وأخبروا الأمير مصطفى المذكور بذلك ، وهو أخبر حضرة السردار به ، هذا وقد ثار عجاج عظيم ملاء الخافقين إلى أن كادت القيمة تقوم ، فاستمروا على سيرهم إلى أن وصلوا .

ظهر ورقة (٦٧)

بركة الحاج الشريف ، والسردار تخلف وراه ، وسبقه الأمير مصطفى المذكور إلى أن وصل لقبة الإعجام تجاه الطايفة المذكورة ، والأمير يوسف

استمر سايراً على بركة الحاج إلى أن أتى إلى قرب الخانقاة ، ووقف إلى أن جاء السردار إلى بركة الحاج ، وكل من المذكورين واقف تجاه الطايفة المخذولة ، واجتمعوا كلهم أجمعين فعمل السردار ديواناً ، حضره أعيان الأمرا الصناجق وأكابر الدولة،ومن جملتهم مولانا شيخ الإسلام محمد أفندى التى برمق ، وشاوروا فى أمرهم هل نبدوهم بالمقاتلة ، أو يرسلوا إليهم لينظروا مافى خميرهم ، فقال لهم التى برمق أفندى نرسل لهم و نزجرهم عما يرومونه من المعاندة ،فارسلوا إليهم الأمير سليمان بن ازدمور ، وترياقى درويش،وتوجها إليهم بكتاب يدعوهم إلى الإنصـــاف ، وأن يتوجه كل أحد إلى موضعه ويسألوا من حضرة مولانا السردار ومن معه من الأمرا ، أن يسألوا حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى الصفح .

ورقة (٦٨)

عنهم والعفو لما سلف منهم ، بشرط دفع العوايد السابقة ، فتوجهوا وذكروا له ماقاله السردار ، فقالوا له بعد ماسألهم ، لايمكن الصفح الذى سألناكم فيه أولا ، بدفع عوايدنا من الخدم على جارى العادة القديمة ، فقالوا ذلك لايمكن ، وقال لهم الأمير سليمان ، إن سمح بذلك يقع بسببه فساد كبير ، فبرز من بينهم شخص يدعى زنطاريه ، وسحب السيف من وسطه ورماه إلى الأرض ، وقال نحن مايفصل بيننا إلا هذا ، فعند ذلك رجع الأمير سليمان ومن معه للسردار ، واعلموه بذلك ، فتوجه السردار إلى أن نزل تجاه الطايفة على شاطىء الماء ببركة الحاج الشريف ، ونصب مخيمه هناك ، فقال لهم مولانا محمد أفندى التى برمق ، نحن لايمكن أن نحاربهم حتى نكرر عليهم المراسلات وننظر مايقولوه ، فان كان موافقاً للشرع الشريف فعلناه ، وإن كان مخالفاً له أبطلناه ، فأرسل لهم السردار ثانى مرة ، القاصد الأول فكرر ذلك عليهم ، وسألهم عن سبب خروجهم وإن يكفّوا عن ذلك فقالوا .

ظهر ورقة (٦٨)

له ما يمكن ، أن يقع بيننا صلحا حتى تعينوا لنا شيئا من خدمنا ، نستعين به على قيام أودنا ، ولو كان شيا قليلا ، فقالا لهم القاصد إن كان مرادكم ذلك فتكتبوا ورقة بما فى مرادكم ، وتعينوا أحداً من البلوكباشية من جانبكم ، يكون رسولا ، فأجابوا لذلك ، وكتبوا ورقة للسردار ومن معه ، من مولانا محمد أفندى التى برمق الموصى إليه ، ومن أمرآ الصناجق ، وجميع العساكر ، ووضع ختمه بها من كان متعينا منهم ، وارسلوها صحبة خرسيس محمد بلوك باشى وديك أوصردى حسين، وذكروا فى ورقتهم أن حضرة مولانا صاحب الدولة ، يعين لنا ماسمح به خواطره الشريفة ، من طلبنا القديمة ، وقدرها عشر طلبة ، فانه لو فرق ذلك على الشهور ، كان ذلك فى كل شهر خدمتين ، وأن أنى ذلك فالسيف بيننا وبينكم ، وحضر القصاد صحبة الأمير سليمان المذكور للسردار ، وعلى دبوانا عجاجا ، وحضر فيه كل من كان حاضراً مع السردار ، وقرئت الورقة عليهم ، فطلب الرأى فى ذلك فن قابل أنه لابد .

ورقة (٦٩)

من عرض الأمر على حضرة مولانا الوزير ، ونشفع عنده فى تعيين شيء لهم ، لأجل إطفاء هذه النايرة ، وقد استصوب هذا الرأى أكثر من كان حاضراً ، ماعدى حضرة الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية ، فانه قال لايمكن ذلك أبداً ، ولا أن نعين لهم شيئا من الأشياء ، قليلا ولا كثيراً فان عينا لهم دارهم وإن كانت قليلة فانها تتضاعف بعد ذلك كما فعل أولا ويقع الفساد بعد ذلك ، ولا يمكن التلافى ، ولم نكن مأمورون بالصلح ، وإن كان ولابد فتكتبوا الواقعة وتدفعوا إلى الورقة المحضرة منهم ، وأنا أتوجه بنفسى ، وأعرض الأمر على حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، وما يبرز به أمره الشريف يكون العمل به ، فتكتبو عرضا بما وقع ودفعوا له المحضر الذى

ورد من عندهم ، فتجهز ليلا وأخذ صحبته الأمير أحمد الدمرداش ، واشحى محمد جاوش داودار القليوبيـة ، وجناجى سليمان ، وقزال موسى ، وبعض جاووشيه ، وحضر ليـــلا وطلع الديوان الشريف ، بما معه من الأوراق واجتمع .

ظهر ورقة (٦٩)

بحضرة صاحب السعادة ، نصف الليل ، وقبل يده ودفع إليه ما معه من الأوراق ، وقص عليه ما عنده من الأخبار ، والتمس مايبرز بأمره الشريف وما قاله الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية إنكم متى سمحتم لهم بشيء استمر الفساد وتمكن وتزايد ، فعند ذلك أمر حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، لا يصفح عنهم حتى يفرغوا عن شيء يقال له الطلبـة ، أو يقطعوا بالسيف عن آخرهم ، وكتب بذلك بيورلديات شريفة للأمير السردار ، وللأمير صالح بيك ، وللأمير يوسف ، ومن هناك من الأمرا والعساكر ، وفوّض الأمر فى ذلك الأمير مصطفى بيك السردار ، وكذلك للأمير مصطفى المشار إليه ، فتوجه من ساعته ، ومن معه للسردار ليلا ، فوصل إليه عند طلوع الشمس وقد كان حضرة السردار ، أرسل يطلب منهم جماعة من البلوك باشية ، لينعقد الصلح عنهم على يدهم ، فأرسلوا الطايفة المخذولة خرسيس محمد وديك أوصردى حسين ، يطلبون تابع أغاة الكملية ويعينه عندهم ، ويرسلون

ورقة (٧٠)

لهم من أرادوا من البلوك باشية ، ليتكلموا معهم على مرادهم ، فلما وصل للأمير مصطفى كتخدا بما معه ، من البيورلديات الشريفة ، ووجد عند السردار الجماعة المذكورة ، وقال لهم أنتم إلى الآن على فسادكم ، وركب السردار من ساعته ، وركب من معه من العساكر ، وتقدم الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية المشار إليه ، فى كبكبة عظيمة ، وكذلك الأمير يوسف

الغطاس ، وقدم المدافع نحو العدو . وأخذهم من خلفهم ، الأمير محمد جركس بيكى ، والأمير على بن الخبير ، ومعهما من العربان مالا يُعَدُّ يُحدُّ ، وقد أخذ حسن ومحمد الكر بيجى، وساير طوايف العربان روس الجبال من كل مكان ، وأما الطايفة المذكورة فإنهم حملوا أسبابهم على دوابهم ، وأخذوا أسلحتهم ، فلما أن رأوا ما حل بهم ، ذهلوا وحاروا وخاروا واستجاروا ، وتشاوروا فيما بينهم ، فمنهم من صمم على القتال ، ومنهم من فشل فتقدم ، منهم شخص يدعى ب(1) ،

ظهر ورقة (٧٠)

وجا بحضرة الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية ، ونزل من على حصانه ، فقبل ركابه ، وطلب الصفح ، فأجيب إلى ذلك ، ثم أنهم صاروا يأتون طوايف طوايف ، ويقبلون ركاب السردار ، ومن بجانبه من الأمراء ، ويتوجهون عند أغاواتهم تحت اللواء السلطانى ، ومن عاند وأصر على القتال ، أخذته السيوف ومن هرب قتلته العرب ، وغرق منهم خلق كثير فى البركة ، ونهبت العربان أسبابهم ، وقطعت منهم رؤوساً من كبار المفسدين، وأما البلوكباشية فإنهم ساروا إلى أن جاؤا إلى الأمير مصطفى ، وقبلوا ركابه ، وأتوا إلى الأمير السردار وقبلوا ركابه أيضاً ، وهم صاغرين ،فعفى عليهم ، وقد كفلهم ، وسار من وقته إلى الخانقاة السرياقوسية ، هذا غاية أيضاح هذه القضية .

ذكر عود حضرة السردار إلى مصر المحمية وانقضاء هذه القضية ، ثم أصبح حضرة السردار المشار إليه يوم السبت المبارك الحادى عشر(*) ، من الشهر المذكور ورتب العساكر ، وجمع من معه

---

(1) هكذا فى الأصل ولم يذكر اسم الشخص وإنما ترك بياض .

(*) ١٥ فبراير ١٦٠٩ م .

من السناجق والأمرا ، ونشر الأعلام والسناجق السلطانية ، والبيارق الخاقانية ، وسارت العساكر يتلو بعضها بعضا ، وجهزت البشاير إلى حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى، وقد خرج جميع من فى مصر من المأمور والأمير، والكبير والصغير ، والغنى والفقير ، والعالم والمشير ، لملاقاته فى أزقة مصر ، بحيث أنه ضاقت الشوارع المصرية بهم ، والأسواق وزحام الحوانيت ، فأول من تقدم فخر الأكابر والأعيان ، الأمير مصطفى كتخدا الجاووشية، ومعه ثلاث رؤس وتسعه أنفار فى الحديد ، منهم يوسف تابع شاملى مصطفى، الذى كان رسولا بمكاتيب الغز فيما بينهم ، يساقون بين يديه أذلاً ، مهانين من وقت الضحى من ذلك اليوم ، وطلع للديوان الشريف ، وقبل يد حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، وظفر فقابله بالبشر والقبول ، وشكر له سعيه ، وأفرغ عليه خلعة سنية ، ثم تلاه الأمير على بن الخبير ، والعالى محمد جركس بيكى

ظهر ورقة (٧١)

وقبلا يده وهنياه بدوام النصر والظفر ، ودعيا له بدوام الدولة ، فأفرغ عليهما الخلع السنية ، وصارت العساكر تتلوا بعضها بعضا ، فلما كان وقت العصر من ذلك اليوم ، قدم السردار المشار إليه ، والسناجق العثمانية منشورة على رأسه ، والنوبة تدق من خلفه ، وبين يديه البلوكباشية المذكورين فى ثلاثة زناجير حديد ، وعشرين رأساً مرفوعة على الرماح ، والسناجق

والأمرا محفوفون به ، وكذلك حضرة الأمير يوسف القطاس ، فطلع الأمير السردار طلعته عظيمة ، وقد ارتجت مصر لطلوعه ، وقابل حضرة مولانا وسيدنا الوزير المعظم ، صاحب الدولة والسعادة والعزة والعظمة والسيادة ، بما معه من الروس والبلوكباشية ، وقد بلغ جميع مراده من خيرى الدنيا والآخرة ، وظفره بهذه الطايفة المارقة الفاجرة ، وبما حفه من النصر الإلهى ، والألطاف الخفية ، وتأدية هذه الخدمة على وجه النجح والتمام ، فقوبل بأنواع القبول والتهانى ، وشمله النظر الشريف بأنواع القرب والتدانى ، وحصلت له المرتبة الكبرى بنيل الأمانى ، وكانت

ورقة (٧٢)

ساعة فرح وسرور وابتهاج ، وبشاشة وحبور ، وحمد الله سبحانه وتعالى على بلوغ المرام ، وشكر له على ما تجدد من الإنعام العام ، وما تحقق من النصرة على الطايفة المخذولة اللئام ، وأفرغ على كاهل السردار المشار إليه الخلع السنية ، وأتحفه بالتشاريف البهية ، وأخلع على كل من كان معه ممن يستحق التشريف من الوضيع والشريف ، ومنحهم بجميع المطالب والمقاصد والمآرب ، وكان جزاؤهم جزاء موفوراً ، وعطاؤهم عطاء مشكوراً ؛ ومع ذلك فقد ادخروا أجراً عظيما وأجراً جميلا ، وافراً كريماً ، ونالوا الحظ عند الله سبحانه وتعالى ؛ وعند الناس من الذكر الجميل الذى ما عليه قياس ، إذ بذلوا نفوسهم وأموالهم فى طاعة الله سبحانه وتعالى ؛ وطاعة رسوله ، وولى أمرهم ، ونفع المسلمين ؛ والاجتهاد فى قمع الطايفة المخذولين وقد بقى لهم هذا الذكر الجميل فى صفحات الدهر ؛ وناهيك بهذا العز والفخر ؛ فالله سبحانه وتعالى يديم دوام أيام هذه الدولة الشريفة العثمانية ؛ ما بقى الدهر ، وينصر بهم المسلمين

ظهر ورقم (٧٢)

ويؤيد بهم الإسلام ؛ ويبقى سلطنتهم الزاهرة العاطرة القاهرة على الدوام ؛ إلى يوم القيام . شعر

وهـذا دعاء لا يرد لأنه ... يزان به كل الورى والممالك

لحمد الله سبحانه وتعالى حضرة مولانا الوزير ؛ وأطلق بين يدى خالقه لسان العجز والتقصير ؛ واعترف بنعمة الله تعالى ؛ وفضله الكبير ؛ وفرح المسلمون بنصر الله ؛ ودوران الدايرة على الطايفة الرذلة الأشقيا القواه ؛ وانقطاع جادة البغاة الطغاة ؛ لكنه إذا أراد الله سبحانه وتعالى أمراً هيا أسبابه ؛ وإذا قدر شيئاً سهل صعابه ؛ وكشف جلبابه ؛ وقد قيل

ولست بعيداً من تناول مطلب ... عسير إذا ما يسرته المقادر

وإن لم يمنعك الله عما تخافه ... فلا الحصن مناع ولا الدرع ساتر

فقطع حضرة الوزير رءوس ؛ من كان مع السردار فى ذلك اليوم ؛ فى الديوان الشريف فى ساعة واحدة ؛ وصار كلما جيء له بأحد منهم يفعل به ذلك ؛ إلى أن استوفى بقية يومه ما ينوف على أربعين نفراً ، خلا ما كان على الأرماح وغير ما تلاشته العربان المحيطة بأوطاقهم

ورقة (٧٣)

منهم ومن أتباعهم ، مع تتبع أثرهم والجهد الجهيد فى طلبهم ، وكل من حضر إليه منهم فعل به السياسة ، وكان ذلك فى زمن قضاء حضرة سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ملك العلما الأعلام ملاذ الخاص والعام ، فخر الموالى العظام ، خادم شريعة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، مولانا

محمد أفندى الشهير بيحى أفندى ، الناظر فى الأحكام الشرعية والقضايا الدينية والتعلقات الديوانية بمصر المحمية ، وبحضرته مولانا فخر العلما العظام ، عين أعيان الموالى الفخام ، العالم بالاستحقاق الراقى بفضله إلى أعلى الطباق الواثق بلطف المعيد المبدى ، مولانا حسين أفندى باشا زاده ، بلغه الله تعالى فى الدارين مراده ، وحضرة مولانا أعلم العلما المتبحرين ، أفضل الفضلا المتشرعين ذو التدقيق والتحقيق ، الهادى إلى أقوم طريق ، الواثق بالملك الممجد ، مولانا أحمد أفندى قاضى المدينة المنورة ، على الحال بها أفضل الصلاة والسلام وغيرهم ، ثم فى ثانى يوم أمر حضرة الوزير لسائر أغوات البلوكات

ظهر ورقة (٧٣)

بعمل يوقلمة ، لساير أسباهية البلوكات ، بأن يميزوا من كان بمصر قبل الوقعة ، فمن كان بها قبل ذلك عفى عنه ، ومن كان بعد ذلك يأتى به ويضرب عنقه . فقتل فى ذلك اليوم أيضاً نيف وتسعين نفراً واستمر القتل إلى أن بلغ ماية وبضع وأربعين شخصاً ، وقتل أيضاً من جميع الأشقيا شخصاً يدعى تكلى ناصف ، داوادار المنوفية ، وبابا ناصف ، وشخصاً يدعى بابا برون وغير ذلك ، ثم أجهر الندا الشريف بأن لا أحد من الناس يؤويهم ، وكل من آوى أحداً منهم ، قوبل على ذلك أشد المقابلة ، وبرز أمره الشريف بعد ذلك ، برفع السيف عنهم ، وأن يتوجهوا إلى اليمن ، وكل من تخلف منهم يعمل معه الحقارة ، فأتو إلى حضرته الشريفة طايعين ، وكتبوا أنفسهم ولم يتأخر منهم إلا من كان بمصر ، وكان غايباً عنهم ، ثم تتبعوا آثارهم حتى لم يبق منهم أحد ، ونظفت بقاع الأرض منهم أجمعين ، نصره الله تعالى على العدا ، وجنبه الردا ، وكتبه من السعدا ، دايماً سرمدا ، فلقد كان يقطع أيامه كلها من المسا

ورقة (٧٤)

إلى الصباح ، وإلى أن يؤذن المؤذن بحى على الفلاح فى سجود وركوع ، وتضرع وهجوع ، وخضوع واجرا دموع ، وتلاوة القرآن والذكر والتبتل والحمد ، والشكر والدعاء إلى ذى الجلال ، ورفع أياديه الشريفة للكبير المتعال ، بكشف هذه النقمة ، وزوال الغمة ، ويسأله النصر والتأييد ، وقطع دابر كل جبار عنيد ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاه وبلغه مناه ، وحقق رجاه ولم يخيب مسعاه ، ونصره على اللئام البغاة ، ولقد صدق الله ورسوله بما وعد به من البشرى ، فان مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً ، فان لم يفعل ذلك إلا لعمار البلاد ، وتأمين العباد ، خالصاً لله فى جميع المراد ، فى قطع دابر أهل الفساد ، ولم يزل يكرم العلما ويحسن إليهم كعادته معهم ، ويتلطف بهم ويحنو ويعطف عليهم ، ويجبر خواطرهم ، مع تقوية الضعفا من الفلاحين والرعايا ، وجذب قلوب كافة البرايا ، إلى أن عمرت مصر بعد تدميرها وخرابها ، ودب فيها

ظهر ورقة (٧٤)

ماء الحياة ، وصارت فى غاية النزاهة ، وعلو النيل السعيد فى أيامه وكثرة المياه . وقد فاض إحسانه الخاص والعام ، وشملهم بأنواع الفضل والكرم والإنعام ، ورفعوا أيديهم بالدعا بدوام سطان الإسلام ظل الله فى الآنام ، خلد الله تعالى ظلال سلطنته على الاستمرار والدوام ، وشيد أركان خلافته إلى يوم القيامة ولم يقم بعد ذلك قايمة للبغاة المخذولين ، وتلى عليهم قوله سبحانه وتعالى ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقلت مؤرخا فى ذلك :

قال لى صاحب وقد ثارت الا   جناد للحرب يبتغون النزالا

ما الذى قلت قلـــت أرّخ   قرا الواو وكفى الله المؤمنين قتالا
١٠١٧ هـ(*)
سنـــة

وقال الشيخ على الملاح مؤرخاً :

أجنـاد مصر قد طغـوا   وبجهـلهم قـد باهـوا
طلبـــوا بغى طلبـة   عنهـــا نهـــانا الله
وخالفـوا لمليـكهم   وبخلفهـم قـد فاهـوا
فـلاقى الوزير محمـد   بالنصر من مـولاه

ورقة (٧٥)

ليردهم عن بغيهـم   فأبو اتبـاع رضاه
وتجمعـوا لقتـاله   ارخت هـدّ بغـاه

وقلت فى معناهم :

جاشت بغاة الجند يوم غرورهم   يتضامرون على متون الضمر
أوردت أطراف الرماح صدورهم   فولغن فى علق النجيع الأحمر
فهناك لم تر غير نجمه مقبـل   فى أثر عفـريت رجـيم مـدبر
لا يعدمنك المسلمون فكم يد   أوليتهم معـروفاً لم تنكر
أمنت ساحتهم وصنت حريمهم   ورددت عنهم قاصمات الأظهر
ما أن أراك الله إلا أمراً   فيهم بمعروف ومنكر منكر

قلت ، ومن أعجب العجب فى هذه الواقعة أنه بعد صدورها بشىء يسير برز أمر حضرة مولانا الوزير

(*) ١٦٠٩م .

ه الله تعالى ، باجهار الندا ، فى شوارع مصر بقطع ما علا من الأرض بالقصبة ، وبحت الحوانيت على العادة ، وشرعوا فى ذلك ، فمر شخص من الناس ، وقال ما هذا فأجاب آخر وقال له : إن حضرة مولانا الوزير نصره الله تعالى ، أمر بقطع أثر الجند المفسدين من الأرض الذى مشوا عليها :

فقال الفقير مؤرخاً :

فى وقعـة الأجنـاد قد	حارت عقول وفكر
والحـق أجـرى لطفه	على الوزير فانتصر
وقطـع الأرض الـتى	مشـوا عليهـا وعفـر
وأبدل الله العـلى	بالصفاغب الكدر
ولم يجـب دعاؤه	وفق القضـا والقـدر
وقـد أتى تاريخـه	قطـع الله الأثر

هذا وما أنشاه مولانا الوزير وجدده من العماير الشريفة والسرايا المنيفة الشامخة العماد ، الباذقة العهاد التى تشاهى المشهى وتعاوق العيون فى الارتفاق والشهوق من ذلك ترميم

ورقة (٧٦)

رخام الروضة الشريفة النبوية بالمدينة المنورة ، على الحال بها ، أشرف الصلاة والتحية ، ومنها ما عمره بمصر القديمـة تجاه المقياس الشريف ، على شاطىء بحر النيل المبارك ، وهو السراى العظيم ، والبناء الفخيم ، لجا فى غاية الإتقان والتعظيم ، بحيث أنه لم يعمر نظيره بالديار المصرية والأقطار المغربية ، ومنها تجديد الجامع المؤيدى بالقلعة المنصورة . فانه أنشأ ذلك بعد

سقوطه ودثوره واندراس معالمه وشونه ، إلى أن صار من العمارة فى غاية الإتقان ، أحسن وأتقن من عمارته فى ذلك الزمان ، ومنها عمارة سيدى سارية وإتقانه وترميم بنيانه ، وفى ذلك يقول الشيخ على الشباسى مؤرخا فى تجديد عمارة الجامع المؤيدى بالقلعة(*) :

تدارك هـذا البيت بعد سقوطه   وزير أتى بالعـدل أيده الله
فلقت وقد الهمت ذاك مؤرخاً   محمد باشا معدن الحـكم أنشاه

ومن جملة عمـايره الشريفة أيضاً ، حوش الأوليا الكاين بالقرافة الـكبرى ، وفارس قطايا ، وما تهدم

ظهر ورقة (٧٦)

من المساجد والزوايا والربط والمساجد ، والجوامع والمعابد ، وجدد عمارة المقام النورى الـكاين ذلك تحت الربع بالقاهرة المعزية ، سفـل مدرسة المرحوم السعيد الشهيد السلطان المالك الملك المؤيد شيخ طاب ثراه ، عمارة حسنة شريفة متسعة متقنة منيفة ومن أعظم مآثره الحميدة ، تجديد عمـارة القلعة السعيدة الصلاحية الأيوبية ، وإصلاح ما تهدم من بنياتها ، وما تساقط من أركانها عمارة متقنة كبنا عاد أو كأرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلهـا فى البلاد ، حتى صارت نزهة للناظرين وبهجة للقاطنين والواردين ، أثراً باقياً مع بقاء الزمان وانقضا الدوران .

وفى ذلك يقول فخر المتأدبين الشيخ عبد الله الدنوشرى الشافعى خليفة الحكم العزيز بالقاهرة المعزية مؤرخاً فى تجديد القلعة المنصورة ، شعر :

(*) جامع عظيم أنشأه الملك السـلطان المؤيد ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، وهو من أشهر الجوامع وأعظمها وأوسعها .

هـذا بنـاء أشرقت أنواره | وبه بهـاء زاد فى غيرانهـا
في غاية الإتقان أصبح خالصاً | ولحسنه شهدت عقول أولى البها

ورقة (٧٧)

فى دولة السلطان أحمد ذى العلا | ذاك الذى مقـداره فوق البها
فالقلعة الغـرآ قرت حسنها | بعمارة طول الليالى فى ازدها
ولسان حال الـكون قال مؤرخا | هـذا البنا بنا سـعد بالبها

وقال مؤرخاً أيضاً

فى دولة السلطان أحمد ذى العلا | أنشـا الوزير المستطاب محمد
هذا البـنا مجدداً تاريخه | هـذا بنـا للسـعود ممهـد

ومنها أنشأ العماير الشريفة الفايقة البهية الرايقة ، فى أماكن غير ذلك كثيرة ، منها وقفه للركابة العظمى بمحمل الحاج الشريف ، والركب المنيف ، يحمل عليها الفقرا والمساكين والأرامل والمنقطعين والعاجزين الحجاج إلى بيت الله تعالى الحرام ، وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ،ومنها تجديده للحصار الأشرفى بثغر دمياط المحروس ، فإنه أنشأه عمارة جديدة متقنة ، بعد ما كان أعفى أثره ودثر ، فصار فى العمارة والتوسيع والاتقان لا يقاس عليه حصار ولا مكان ، مع بناء ما تهدم من الحصار الأشرفى بالثغر السكندرى وغير ذلك من الثغور .

ظهر ورقة (٧٧)

ومنها ماجدده وعمره وأنشاه بالمقياس الشريف ، وزينه أحسن زينة ، وعماره قاعاته المسكنية واتقان بنائه وبياضه وزخرفته إلى أن صار ، بهجة للناظرين

ونزهة للمتفرجين ، ومنها أمره بعمارة جامع المرحوم سليمان باشا ببولاق القاهرة وزيادته زيادة وافرة ، وتزيينه وتحسينه وإتقانه وتزيينه ، وكانت زيادة فى محلها لازدحام الناس فى الصلاة ، أبهى من زيادة جامع البحر ببولاق(*) والجامع الكبير برشيد المسمى بجامع زغلول ، وأبهاه وأسماه وغير ذلك من العمائر الشريفة والآثار المنفية ، والربط والقناطر والخيرات والمآثر التى لم يتقدم نظيرها لأحد قبله ، ولا لمن يأتى بعده وهذا كله من حسن طريقته وصفاء عقيدته(**) ، وحصل السرور التام ، والفرح العام ، واطمأنت العباد ، واستقرت البلاد ، ورخصت الأسعار ، وتقطرت الأمطار وعمرت الديار وحصل الأمان ، وطاب الزمان واعتدل الأوان ، وزال الخوف والارتجاف ، فنسأل الله ثانيا وثالثا ، أن يزيد هذا الوزير المعظم تأييداً ، وأن يؤيدة مدى الدهر تأييداً ، وأن يساوى فى الدخول تحت أمره شامخ ذات الغمائم بدل العمائم ، ويعلق النعائم عوضا عن التمايم ، وماذا .

ظهر ورقة (٨٠)

عسى أن أقول راغبا ، وإن كنت قاصراً ، باطنا فى الدعاء وظاهراً ، ولو كنت على استدخال نجوم السماء ، ورمال الدنيا فى عداد البراعة فى اليراعة قادراً ، لم أبلغ المعشار مما يليق بذلك المقام الغالى ، ولم أتى الآباء يسر اليسير من المناسب لجنابه العالى ، طاول الله تعالى بدولته العالية الغالية ، أعمار الأبد ، وحرسه بكلماته العشر ، ومدارات الأفلاك التسع وثمانية حملة

(*) يقع الآن بخط باب البحر ، وبه ضريح الشيخ محمد البحر ، وضريح الشيخ تاج الدين .

(**) حذفنا بقية الورقة وحتى منتصف وجه الورقة (٨٠) لخروجه عن موضوع النص .

العرش ، والسبع المثانى من الجهات الست ، والحواس الخمس ، والعناصر الأربع ، والإثنين الله ثالثهما ، الله الواحد الأحد آمين » .

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

وقلت ... ...

وإنى إن أعطيت فى القول بسطة وطاوعنى فيها بنانى المحبر

لا أعلم أنى فى الثنا مقصرا ولو غرف النساخ سبعة أبحر

وفى هذه الواقعة يقول مؤلفها ، العبد الفقير محمد السعدى البرلسى(*) .

ورقة (٨١)

الجزء التاسع

لم يرو من نقل الأخبار والسيرا مثل الذى فى ربا مصر العزيز جرا

ولا رأى مثله فى أعصر سلفت رأى وشبه ذاك الخطب ليس يرى

مصيبة دهمت فينا فما تركت للقب قلبا ولا عينا ولا أثرا

مصيبة محقت فيه الذين دنوا لها ولم يجدوا من دونها وزرا

بعد السوط عذاب قد أحاط بهم فالبعد عنهم رضا ما زال معتبرا

أما ترى الجند فى مصر قد احتشدوا وما صفى وردهم حتى سقوا كدرا

(*) هذه القصيدة من تأليف محمد السعدى البرلسى ، وله أيضاً مؤلف عن واقعة الطلبه هذه ، باسم « بلوغ الأرب برفع الطلب » وقد سبقت الإشارة إليه ، انظر ص٣٠٩ وربما قصد بقوله « مؤلفها » أى مؤلف هذه القصيدة والقصيدة السعدنية الأخرى التى يمدح بها محمد باشا من وجه ورقة ٨٢ إلى وجه ورقة ٨٣ ، ص ص ٣٨٠ — ٣٨٢ من هذه الطبعة . والواضح أنه أقحم هاتين القصيدتين أثناء نسخه المخطوطة ، مع مانقله المؤلف من أفواه الثقاة عن هذه الواقعة ، يستفاد ذلك مما ذكر فى نهاية ظهر الورقة (٨١) عن القصيدة الثانية حيث قال « وقد خدمت جنابه الشريف بهذه القصيدة الطنانة لتكون ختاما لهذه الرسالة الرنانة ، مدحا فى مقامه العالى ، وتفننا فى وصفه الغالى) وهى « القصيدة السعدنية » .

عم الفضا بها أجسامهم قددا	فى كل قلب تراه منهم عبرا
دنت إليهم جيوش النصر كاسرة	قتلا وأسراً فى يوم الجزا سفرا
أشد ما سمعت أذناى صارخهم	يوماً فأوقر سمعى من روى الخبرا
لاغرو إن فطرت تلك القلوب أسى	منهم لخر لقائهم فطر الحجرا
شجعان حرب لعيب قد نسخته	مذ أقبلت بجيوش تذهل الفكر
لو نال إيوان كسرى بعض صدمتهم	لانهد منه بناء العز وانكسرا
فصادموهم ففروا من تصادمهم فى	صورة أعجزت عن وصفها الشعرا
ولم يكن أحد يرجى سلامته	فتلك داهية حان لهم سحرا
فى الشرق والغرب والبحر والمحيط	وفى سهل ووعر لم يظهر لهم أثرا
ولوا حيارى وذل البغى يقدمهم	فالبعض قتلى وبعض لقوم قد أسرا
هذا قضاء من الرحمن أخذلهم	ومن يرد قضاء الله والقدرا

ظهر ورقة (٨١)

وهذه عبرة جات لمعتبر	فى كل أمر عجيب فأنعم النظرا
فالحمد لله ذل البغى أهلكهم	جمعاً وسلم منهم هذه الصورا
أما ترى رؤوسهم فوق الرماح وفى ال	جنزير رءوسهم قدامهم دورا
فالشكر لله إذ كانت مواهبه	تزيد بالفضل والنعمى لمن شكرا
إذ صافنا وحمانا فى منازلنا	بكافل الملك إذا هدى لنا الظفرا
لولاه فى مصر لم يحفظ لنا وطن	ولا قضينا به دهرنا الوطرا
أتى فشمر ذيل العزم حين أتى	بهمة قد كفتنا الهم والحذرا
قد جاء بالنصر فالرحمن ينصره	على العدو الذى لولاه لانتصرا

وزير تهابه ملوك الأرض من خضعت | له الأسود ومن دانت له الأمرا
محمد وهــــو سيف الله يشهره | فدام فيه بحسن الذكر مشتهرا
كالليث يحمى الشرا والرعب سطوته | فكيف أن زارته الناس أوزارا
فالله يحميـــه ما غنت مطوقة | فحركت بالنسيم العود حين سرا

وقد خدمت جنابه الشريف بهذه القصيدة الطنانة لتكون ختاماً لهذه الرسالة الرنانة مدحاً فى مقامه العالى وتفنناً فى وصفه الغالى ، وهى القصيدة السعدنية :

لك الحمد يامولاى فى السر والجهر | على نصرة المولى المؤيد بالنصر

ورقة (٨٢)

وزير عظيم الشأن ثاقب رأيه | يجهز فى آن جيوشاً من الفكر
أباد له بالباس كاسرة العدى | ولكنها بالجود جابرة الكسر
محمد مولانا الوزير ومن غدا | أوامره فى مصر وأحكامه تجرى
به أمن الله البلاد وطمن الـ | عباد فكل بات منشرح الصدر
حمى حوزة الإسلام بالسيف والقنا | ومهد ملكا قد تمزق بالشر
وشتت شمل المارقين وردهم | مثال قرود شاردين من الذعر
وقطع رءوساً من كبار رءوسهم | لهم باطن السرحان والطير كالقبر
ولازال فيهم عامل السيف عاملا | ولا برحوا فى الذل بالقتل والأسر
بكل حديد الطرف أسمر ان رنا | إلى مقتل أصماه بالنظر الشزر
ومن أبيض لا يعرف الصفح إنما | يعاملهم بالحـــد فى لبة النحر
مضاربه لا تنثنى عن ضريبة | إذا راح يحكى البحر فى المد والجزر

برش بالعدو يبرى أسهمامنه وفى السلم والجدوى يريش ولا يبرى
وإن جرد الهندى عاينت شعلة بها شرر ترمى بها الدهر كالقصر
بجرهم للموت نون قيسية ماقلت أن النون من أحرف الجر
مواظبة للخميس فى طوع ربها وخدمة باريها ملازمة الوتر
لمدركه تنمى كنانة سهمه وعامله المياد ينمى إلى النصر
وأسيافه مشهورة فى عداته يذيقهم بالفكر عاقبة المكر

ظهر ورقة (٨٢)

فما اضطربت فى غير قلب سيوفه وما اختلجت أرماحه فى سوى نحر
فيا أوحد الدنيا ويا واحد الورى وزيراً عظيما سامى المجد والقدر
يمنيك فيها اليمن والأمن والمنا ويسراك حصت فى البرية باليسر
فكم قد روينا من عواليك مسنداً ليوم نوال عن عطاء وعن بشر
لك الله من مولى ندا جود كفه يساجل موج البحر بالشيم الغر
أصابعه عشر تزيد على المدا فلا غرو إن أغنت عن النيل فى مصر
فقم وارتشف يا صاح من فيض كفه
لتروى حديث الجود من طرق عشر
فيا جود مولانا الوزير ترفقا على مهل كى يغرق الناس فى بحر
بأفق علاه قلعة الجبل ازدهت وهزت حياء فوق قادمة النسر
وحصناً غدت ذات البروج وعمرت
وصار لها الفخر ذاكراً على ذكر
فيا حافظ الإسلام من طعن طاعن
يصيب ويخطى فى الحديث ولا يدرى
خدمت سجاياك العلا بقصيدة يتيمة فكر نخبة الدهر والعمر

وكالذهب المسبوك صفت بيوتها   كميت فحول الشعر من خلفها يجرى
وقدمت فيكم إليكم هـــدية   ومن عجب أن تهدى الدر للبحر
وقد سطرت فى عام سبع وعشرة   وألف سنين فى الحساب لمن يدرى
حياك العبد الـــكبير محمد   وسعدى أصل والبراس فى الذكر
يلف حيـــاء وجهها طيب نشرها
فتحلوا طباق الحسن فى اللف والنشر

ورقة (٨٣)

وإن كنت قد أقلعت عن مدح غيركم
لما فيه من وزر فقـد فزت بالأجر
وفى النفس حاجات وفيـــك مكارم
يناجيـــك عن أسرارها عالم السر
فعش وابق واسلم وأعز واغنم وسد ودم
وأرق وأسعد فى سرور مدى العمر
بجاه أجل المرســـلين محمد   عليه سلام الله ما عز القمرى
وآل له ثم الصحابة جمعهم   فما منهم إلا فتى سامى القدر

سوق يروج فيه ما كسد من بضايع الفضلا ويرغب فيه ما زهد من شاجر العظما النبلاء مثل الأعرابى وإهداء قربة ماء إلى خليفة الزمان . وإهداء رجل جرادة إلى حضرة نبى الله سليمان ، معلوم عند كبرا أهل الشأن أهديت إلى جنابه الكريم ومقامه الفخيم هذه الرسالة التى لم ينسج فى هذه الواقعة على منوالها ولا سمحت قريحه بمثالها ، ولم يعارضها من له فى فن التاريخ باع مديد ولم يحم حولها طاير فضل .

ظهر ورقة (٨٣)

ولو كان العماد بن عبد الحميد ، لمـــا فيها من النكت الظريفة والاستطرادات اللطيفة والعظمة والاعتبار ، واختلاف أحوال الفلك الدوار ، وتقلبات الليل والنهار وقد كنت فى ذلك كله كمن أهدى إلى البحر الدرر ، والتمر إلى هجر ، والغرض هو التعلق بحبال الآمال ، والتوسل إلى التوصل إلى فايض الإحسان والأفضال ، والالتجا إلى ذلك الظل الظليل ، والمجد الصافى الأثيل من جور الزمان الظلوم . فقد أناخ الدهر بكلكله على طلاب العلوم ، وصارت الجهلة ظالمين على أرباب الفهوم . ثم انتعشوا بعض الانتعاش ورجعت إليهم أرواحهم عند الانتعاش . وذلك كله بشمول نظر حضرة مولانا الوزير المعظم ، المشار إلى ذاته ، متع الله المسلمين بطول حياته ، وأنا أرغب إلى الله تعالى وأسأل . وبجناب نبيه محمد أتوسل ، أن يرزقنا التوفيق . ويرشدنا إلى أقوم طريق . ويجعلنا أول فريق ، ويحفنا باللطف ، فهو نعم الرفيق ، هذا آخر ما أردت جمعه فى هذه الأوراق .

ورقة (٨٤)

من كل معنى ظريف ، وأثر مبارك شريف ، رق معناه وراق ولطف مواده فى الأسماع والأذواق ... فدونك أيها الفاضل اللوذعى ، الكامل الفطر الألمعى ، الناظر فى هذا المؤلف العجاب ، المتصفح لوجنات هذه العذرا الكعاب . ما أودعت فيه من لطايف الآداب وأدرجته من ظرايف النكت المحتوية على العجب العجاب ، ومع ذلك فلا أدّعى رتبة الكمال ، فَفَوق ذى عـــلم عليم ، ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب ، فالمنزه من كل عيب هو الملك القدوس العزيز الحكيم ، فالأليق بالفاضل إذا عثر بشي مما كبا فيه المؤلف

وعثر أن يسدل الزلل ويقيل العثار ، ويستر الخلل والعوار ، فالكريم غفار ، والحليم ستار ، والصلاة والسلام الأكملان الأطيبان ، الأذكيان الأعطران على سيدنا محمد الهادى إلى سواء السبيل ، وعلى آله المزهين ، وأصحابه المطهرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

بلغ مقابلة وتصحيحاً بمزيد التقييد والاعتنا وتم ذلك
يوم الخميس بعد العصر فى عاشر ربيع الآخر
سنة ١٠٢٢هـ / ٣٠ مايو ١٦١٣ م

فلله الحمد على ذلك